رسائل من دفتر مجاهد

راقب أخلاقك ..

أشدَّ مما تُراقبُ سلاحَكَ

بقلم: أبي الأشبال المغربي

منشورات ربيع الأول 1438هـ

فريق المسلمة

راقب أخلاقك..

أشدّ مما تراقب سلاحك!..

بقلم: أبي الأشبال المغربي

الإهداء..

أهدي هذه الرسالة..

إلى ذلك المجاهد الذي اقتفى أثر نبيّه محمد r وتمسك بأخلاقه..

فليصافحها براحة القبول..

استهلال بالذي هو خير:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه مخاطبا نبيَّه محمدا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** والصلاة والسلام على القائل: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأَخْلاق**»، أما بعد:

مقدمة:

أخي المجاهد: (إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي: الثِّقة والأمانة على أقل التقدير!.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات!، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكّك أفراد المجتمع!، وتصارعوا!، وتناهبوا مصالحهم!، ثم أدّى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار!.

فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾**، وقال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾** اهـ من كتاب: (الأخلاق في الإسلام/الموسوعة الشاملة)..

وعليه..فإن هذا الموضوع جليل القدر، عظيم الأهمية في حياتنا اليومية، خاصة ونحن في زمان اختلت فيه الموازين والقيّم، وضعفت فيه الأخلاق ورقّ فيه دين الكثير من الناس إلا ما رحم ربي، فإلى الله نشكو

خفوق راية الإخفاق..

ولذا جاءت هذه الكلمات، من باب التذكير والقيام بالواجب، فـ:

أعِذْني ربِّ من حصْرٍ وعيّ   ومن نفس أعالجها علاجا

وأسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، مُدْنية من رضاه والفوز بجنات النعيم..

وقبل الشروع في الموضوع، نمهِّد له بـ:

جلسة إيمانية فهلمّ هلمّ..

أيْ أُخيّ ((**اجلس بنا نؤمن ساعة**))؛ وتعال آخذ بيدك كما أخذ ابن رواحة بيد أخيه أبي الدرداء رضي الله عنهما وقال له: ((**تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا!!**))..

يقول هذا في وقت قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» رواه البخاري.. فكيف يكون الحال اليوم في وقت رقّ فيه دين كثير من الناس، وكثرت فيه الفتن واختلّت الكثير من المفاهيم (نسأل الله العافية والسلامة)؟!

فما أحوجنا لأن نجلس ساعات وساعات لنجدِّد الإيمان في قلوبنا، ونتفقّه في ديننا، ونصحِّح الأخطاء والشوائب التي لصقت بنا..

فهلمّ هلمّ في وقت نحتاج فيه إلى (الوصية) و(التذكير) أكثر من أي زمن مضى، فـ (لم يزل التذكير في كل أطوار الإنسانية مددا روحانيا يثير الخامل إلى العمل، ويحثّ العامل على مواصلة العمل) كما يقول الإبراهيمي رحمه الله تعالى..

وَبِمِثْلِ هذه الجلسة وأضعافها نكون قد شيّدنا أفقا أخلاقيا متينا صلبا نقف عليه، ونبصر من أعاليه كل العوائق التي تعثرنا في سيرنا فنجتنبها ونحذرها ـ بتوفيق الله تعالى ـ فـ (إذا خرج الزور؛ دخل النور)، ﴿**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (البقرة، من الآية: 213)..

أيها الأخ المجاهد..

لقد أقام ديننا الإسلام صرح الحياة الاجتماعية، على قواعد وأسس متينة من الآداب العالية، والفضائل السّامية والقيم الرّاقية، وما المرء من غير آدابه وأخلاقه؟! ومن أوتي الأخلاق الكريمة فقد أوتي خيرا كثيرا:

فإذا رُزِقْت خليقة محمودة   فقد اصطفاك مقسّم الأرزاقِ

فالنّاس هذا حظّه مال وذا   علم و ذاك مكارم الأخلاقِ

وقال آخر:

وما الحسن في وجه الفتىٰ شرف له　　　إذا لم يكن في فعله والخلائقِ

وحسن الخُلُق لا تخفىٰ علىٰ المسلم فضيلته، وقد ورد في ذلك ـ ولله الحمد ـ آثار جياد، لا يخفىٰ معظمها عليك..

وهل تحتاج فوائد التمسك بالأخلاق إلىٰ بيان؟ ففوائد التمسك بالأخلاق تحدّث عن نفسها باللسان الفصيح.. ولكنها قد تحتاج إلىٰ الحديث عنها في وقت (....)!.

ولقد خصّ الله سبحانه وتعالىٰ بالأخلاق الحميدة الكرماء؛ فجعلهم أهلها، وخفّف عليهم حملها، وسوّغهم فضلها وبرّها، وهيّأ لهم أسبابها، فوقفوا عليها جادّين حازمين عازمين، ولا يدرك المفاخر من رضي بالصّف الآخر، و﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِّ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُّ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ سورة الحديد من الآية: 21؛ فهل أنت من أولئك؟ وأين أنت منهم؟

الأخلاق الكريمة ـ أخي المجاهد ـ يجب أن لا يفرّط فيها المؤمن الصادق، وقد تواترت علىٰ ذلك الشواهد واشتهرت، فهذا نبينا الكريم r يبيّن أن (الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتما، وأن انهيار الأخلاق مردّه إلىٰ ضعف الإيمان، فالرجل الذي يؤذي جيرانه يحكم الله عليه حكما قاسيا فيقول الرسول r :«**لا والله لا يؤمن، لا و الله لا يؤمن، لا والله لا يؤمن.** قالوا: من ذاك يا رسول الله؟ **قال:جار لا يأمن جاره بوائقه،** قيل: وما بوائقه؟ **قال:شره**» رواه أحمد) ما بين قوسين من: (موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق)..

والمجاهد في سبيل الله ـ أخي في الله ـ من أولىٰ الناس بأن يتحلىٰ بالأخلاق الكريمة، والآداب الجميلة، لأنه يمثِّل ـ بالنسبة للناس ـ مشعل نور وهداية، واللّطخة في الثوب الأبيض ليست كاللطخة في الثوب الأسود، فالذنب والشرّ الذي يصدر منه ـ خطأ أو عمدا ـ يعظم في أعين الناس ـ خاصة عوامّهم ـ فهل يليق به أن يتعمّد ويصرّ علىٰ صدور الخطأ منه؟ فراقب نفسك!! وقل لها أيتها الـ (....): ألست فاعلة كذا؟ ألست قائلة كذا؟..

سِرْ سَيْرَ منْ غَايَتُـهُ السَّلامَةْ　　　وَعُـدْ عَلَىٰ نَفْسِـكَ بِالْمَلامَــةْ

بَادِرْ بِخَيْرٍ إِنْ نَوَيْتَ وَاجْتَهِـدْ　　　وَإِنْ نَوَيْتَ الشَّرَّ فَازْجُرْ وَاقْتَصِدْ

وهل يجمل ـ بالداعي إلىٰ الله تعالىٰ المجاهد في سبيله ـ أن يكون محل فتنة للناس ونفورهم عن شعيرة من شعائر الدين (الجهاد)؟ عار؛ وأي عار..

يقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي ـ رحمه الله تعالى ـ: (وما أعظم جناية المسلم الذي يقيم من أعماله الفاسدة حجة على دينه الصحيح، وما أشنع جريمة المسلم الذي يعرض ـ بسوء عمله ـ دينه الطاهر النقي للزراية والاحتقار) (الآثار، ج:2).

وبعد الذي سبق ننتقل إلى:

أولا: أهمية وضرورة الأخلاق بالنسبة للمجاهد:

إن قضية الأخلاق بالنسبة للمجاهد مهمة وعظيمة للغاية، فهو حامل مشعل نور وهداية لهذا الدين ـ كما تقدم ـ، فحريّ به أن يلتزم ـ هو أولا ـ بما يدعو الناس إليه، ولسان حاله يقول ما قاله نبي الله هود عليه السلام وهو يدعو قومه إلى الله تعالى:﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾) سورة هود: من الآية88، وهذا الأمر مظنّة قبول دعوته والتفاف الناس المدعوّين حولها بإذن الله تعالى..

فينبغي عليه إذن؛ أن يحرص على تنفيذه والعضّ عليه بالنّواجذ.. وإلا سيقال له:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليمُ

وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... نصحًا وأنت من الرشاد عديمُ

ويهجم عليه آخر فيقول:

رَأَيْنَاكَ تَنْهَى وَ لا تَنْتَهِي ... وَتُسْمِعُ وَعْظًا وَلا تَسْمَعُ

فَيَا حَجَرَ الشَّحْذِ حَتَّى مَتَى ... تَسَنُّ الْحَدِيدَ وَ لا تَقْطَعُ

ويثلّث عليه أبو العتاهية فيقول:

يا ذا الذي يقرأ في كتبه ... ما أمر الله و لا يعمل

قد بين الرحمن مقت الذي ... يأمر بالحق و لا يفعل

من كان لا تشبه أفعاله ... أقواله فصمته أجمل

إن الذي ينهى ويأتي الذي ... عنه نهى في الحكم لا يعدل

وخيرٌ من ذلك كله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ سورة الصف، الآية: 2ـ3..

وقل لي بربك: كيف تدعو الناس إلى الإسلام وآدابه ثم تخالف ذلك؟! أين الصدق بارك الله فيك؟

يقول الإمام الماوردي رحمه الله تعالى: (فَإِنَّ مَنْ جَاهَدَ عَنْ الدِّينِ كَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْتِزَامِ أَحْكَامِهِ وَالْفَصْلِ

بَيْنَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ) وهي كلمة ذات أثر، تملأ السمع والبصر!.

وفي هذا الصدد ـ أهمية الأخلاق للداعية إلى الله ومنه المجاهد في سبيله ـ يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في شرح حديث «**وخالق النّاس بخلق حسن**»: (هذا من خصال التقوى ولا تتم التقوى إلا به وإنما أفرده بالذِّكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيرا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، فنص له على الأمر بإحسان العِشْرة للناس فإنه كان قد بعثه إلى اليمن ـ معاذ بن جبل t ـ معلِّما لهم ومفقِّها وقاضيا؛ **ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره مما لا حاجة للناس به ولا يخالطهم..**) اهـ من (جامع العلوم والحكم)..

وهي (كلمات تقطر فقها) وللكتاب من اسمه نصيب (فاقرأه واعكف عليه)، وتأمل قوله رحمه الله: (ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره مما لا حاجة للناس به ولا يخالطهم) وقارنه بحال المجاهد في سبيل الله تعالى وَقِسْ عليه؛ ليتضح لك جليا ما أردنا التنبيه عليه في هذه النقطة بالذّات..

واعلم أنه متى ما تكلف إنسان بمهمة مّا ولم يكن لها أهلا ـ ومنها الدعوة إلى الله والخروج على شاشات الكاميرا وغيره! ـ فإنه يخرِّب ويدمِّر أكثر مما يعمِّر!!؛ فليُعلم، ولنعط القوس باريها، ولنترك العيس لحاديها و(**كلٌ ميسَّر لما خُلِق له**)..

ثم اعلم ـ أيها المجاهد الكريم ـ ويا من تعمل في إطار مشروع كبير بأن الالتزام بالأخلاق الإسلامية السامية مظنة التوفيق والنجاح، والمجاهد الذي يقارع الأعداء ويحمل مشاريع أمته وتكاليف دينه على كاهله الضعيفة بحاجة ماسة لذلك، والعمدة في هذا، قول أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها لنبيِّنا وزوجها الكريم صلوات ربي وسلامه عليه وذلك حينما فزع لما جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ في غار حراء أول مرة وقال لها: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**»؛ قالت له ـ واسمع لا وُقِر سمعك ـ: «**كَلاَّ وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**» رواه البخاري وزاد في رواية (وتصدق الحديث)..

فأين نحن ـ أيها الحبيب ـ من هذه الأخلاق؟.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معلِّقا على قول أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها السابق ـ وتأمل أيها الحبيب ـ: (ثم استدلّت على ما أقسمت عليه من نَفْي ذلك أبدا بأمر استقرائي وصفته بأصول مكارم

الأخلاق؛ لأن الإحسان إما إلىٰ الأقارب، أو إلىٰ الأجانب، وإما بالبدن، أو بالمال، وإما علىٰ من يستقل بأمره، أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيها وصفته به) اهـ من: (فتح الباري الجزء الأول) فلله درّه علىٰ درره.

فَكُنْ أخي المجاهد صاحب أخلاق فاضلة، و إليك: «**وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا**» وإلا فانتظر الجزاء من جنس العمل! (عافاك الله تعالىٰ).

أيها الأخ المجاهد:

أما آن لنا، أن نقول لا بد من إصلاح الحال ودَحْر العلل؟! وعليه: فإذا فقدت آمالك، **فتفقَّد أعمالك**!..

*　　　*　　　*

ثانيا؛ تشخيص داء.. وتوصيف دواء:

أخي المجاهد؛ اسأل نفسك دائما ـ بصدق وعمق ـ عن:

ـ تأييد وتوفيق الله تعالىٰ لك.

ـ هل أثمر زرعك، وإن كان الجواب بـ: لا، فما هو السبب؟!.

ـ سل نفسك دائما عن سبب الخذلان عند حصوله؟.

سل نفسك عن البركة في السعي والمساعي، وعن نصيبك من: (**والله ما يخزيك الله أبدا**) وقد تقدّم؟.

ـ ما مدىٰ التزامك ـ خلال جهادك ـ بهدي سلفنا الصالح رضي الله عنهم؟.

ـ ماذا غيرت فيك هذه الآية الكريمة وماذا صنعت بها: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**) (النساء، من الآية: 94).

أسئلة كثيرة يضيق بها المقام؛ و(المؤمنون نصحة) وليكن أول من تنصحه هي نفسك، فلا تبخل علىٰ نفسك أن تطرح عليها مثل تلك الأسئلة التي ذكرتها وأخواتها التي تركتها، أسأل الله لي ولـك التوفيق، فهو بالكرم خليق..

وأزيد أخي إفصاحا ـ زاده الله صلاحا ـ فأقول: أيها الأخ الحبيب؛ إن بنا أمراض أوجاعها كالزنابير اللاسعة، وتوصيف الحال صعب للغاية:

لو كان (للتوصيف) لونٌ يُبصرُ　　　لكان في لون السواد يحشرُ!

والتوصيف بدقة وصدق موجع ويُنكِّس الرأس، والله المستعان..

وإن قال قائل لا يعجبني هذا الكلام وينكر هذا!! ناديناه: هوّن عليك، ولا تكن من الغاشين!..

أما الناصح لدينه وقومه ـ وأرجو أن نكون جميعا كذلك ـ فإنه يحب ويؤكّد ويلحّ على ضرورة كشف عيوب النفس الأمارة بالسوء بكل صراحة، حتى نكبح عتوها وجموحها، ونقرعها بقواريع التنبيه والتأنيب، علها تتذكر أو تنيب، والحق ينبغي أن يقال: حتامَ مداهنة النفس، وغش بعضنا البعض؟!..

فالمؤمن ينصح و(المنافق) يغش ـ أعاذنا الله وإياكم ـ ويتأكد هذا أنه دخل في طائفة المجاهدين اليوم كل من هبّ ودبّ، وساحة الجهاد تجمع الصادق والكاذب، والمؤمن والمنافق، والتقي والشقي.. إلخ الأصناف وهي سنة جارية..

قال سهل بن عبد الله التّستري رحمه الله تعالى: (**لا يشمّ رائحة الصِّدْق!** من داهن نفسه أو غيره)..

ولا يلمنا من يقرأ هذا وغيره، فشدة المعاناة وما نزل بساحة الجهاد من البلايا والرزايا والغفلة التي لا نحسد عليها هي التي أنطقتنا، فلا تلومونا ولوموها..

نسأل الله صلاحا عـادلا إنما الغافل في البلوى هلك

قد كفانا ما مضى من بؤسنا ربنا اكشف ما بنا فالأمر لك

وهل عزة النفس أغلى من الجهاد؟ اللهم لا.. ومن قال نعم ولو بلسان حاله؛ فقد أصيبت مقاتله! ولا تلتف إليه، ولتذهب عواطفه ـ وغيره ـ إلى الجحيم!..

يآ قوم: إن الجيش المسلم إذا لم يتحلّ بالأخلاق العالية التي حثّ عليها شرعنا الحنيف، ستنخر جسمه آفات تكون معاول هَدْم في بنيانه، وتوضع أمامه عقبات تكون معيقة لسيره، ثم تؤاخذه سنن الله تعالى في أمثال الذين نبذوا الأخلاق وراء ظهورهم، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح، من الآية: 23) وسنن الله غلّابة؛ فهل يستفيق الغافلون، وهل يجدّ العاملون؟ وهل يعترف المقصِّرون؟ ألا! فاحذر الغفلة فإنها نوم ثقيل كما قيل، والمريض يألف الوسادة! ..

فيآ أخي في الله؛ هل يستساغ الرقاد؟ ألا صَحْو ساعة! أم تحب أن يبقى ظلام الليل فوقك سرمدا؟!..

قمْ لقد حان القيام، والسبق يعرف في آخر المضمار..

قَدِّمِ لِيَوْمِ الْعَرْضِ زَادَ الْمُجْتَهِد ثُمَّ الْجَوَابُ لِلسُّؤَالِ فَاسْتَعِـد

تَطْوِي اللَّيَالِي الْعُمْرَ طَيًّا طَيًّا وَأَنْتَ لا تَزْدَادُ إِلا غَيًّـــا

عافاني الله وإياك، ونسأل الله السلامة..

وها هي حكمة هادئة فاسمعها:

يقول الشيخ المجاهد أبو مصعب السوري ـ نفع الله بعلمه ـ: (ولن تُهزَم أمّة تلتفّ على عقيدة صحيحة تعيش من أجلها وتجاهد لإحيائها مهما كان أعداؤها، ومهما تألّبت عليها القوى، وهذا المبدأ هو الذي سطّره ربّ العزّة في سبب النصر والهزيمة إذ يقول سبحانه: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، (آل عمران:165)، فالهزيمة تبدأ داخلية ثم تنعكس على ساح المعركة، والخلل يبدأ في أعماق النفس ثم نرى آثاره اندحارا في ميادين الحياة، سلوكا وأخلاقا ومعاملة، فكيف تمت عملية التحويل؟!) نقلا عن: (المقاومة الإسلامية العالمية)..

يا أيها الإخوة خذوها فصيحة صريحة (وهذا مجلس قضاء وعدل وعقل):

لقد (اختلّت الأخلاق وفي اختلالها البلاء المبين، وان الأخلاق في دينكم هي شعب الإيمان، فلا يختلّ خلق إلا وتضيع من الإيمان شعبة.

وقد أجمع حكماء الأمم على هذه الحقيقة التي قرّرها الإسلام بدلائله وأصوله، وهي أن الأمم لا تقوم ولا تحفظ وجودها **إلا برسوخ الأخلاق الفاضلة في نفوس أفرادها.**

ولهذا نرى الإسلام يأخذ في شرطه على أبنائه أن يتآمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ويبدئ في هذا المعنى ويعيد، ويضرب الأمثال ويبيّن الآثار، ويلفت النفوس إلى الاعتبار بمن مضوا وإلى سنن الله الخالية فيهم.

لو لم يكن من أصول دينكم، أيها الإخوة، وتعاليمه إلّا هذا الأصل ـ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ لكفاه دلالة على أنه دين اجتماع وعمران وحياة وبقاء، ولو لم نضيّع ـ فيما أضعنا من تلك الأصول ـ إلا هذا الأصل لكفانا مقتًا واستحقاقًا لغضبه واستبداله بنا قومًا غيرنا) ما بين قوسين من الآثار للإبراهيمي رحمه الله تعالى وهي صيحة صاخّة، وإليك قول الشاعر الذي يستوقف المشاعر:

وإنمـــا الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبـوا!

ويقول آخر وكأنه يدعو إلى حضور اجتماع على جنازة!:

وإذا أصيب الناس في أخلاقهم   فأَقِمْ عليهم مأتمــا وعويــــلا!

أيها الإخوة الفضلاء: إننا إذا استعرضنا ماضينا السعيد وحاضرنا الشقي في بعض أحواله، وتلمّسنا الأسباب والعلل التي جعلت عالينا سافلنا في انحطاط مريع بعد ارتفاع سريع، لرأينا أن الآفات التي

لحقت بالأخلاق لها دور فعال في هدّ بنيان الجهاد وتقويض أركانه، ولقد كانت معول هدم لو نصدق في التشخيص، والأمر لله..

ولو أننا اتبعنا القرآن وأخلاق سيد ولد عدنان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لكنّا وكنّا:

كَـمْ آيَةٍ مَرَّتْ بِنَـا و آيَـةْ   فِي بَعْضِهَا لِمَنْ وَعَى كِفَايَةْ

وَنَحْــنُ فِي ذَا كُلِّهِ لا نَعْتَبِرْ   وَلا نَخَافُ غَيْبَهَا فَنَزْدَجِرْ

أَلَيْسَ هَذَا كُلِّهِ تَأْدِيبًـــا ؟   فَمَـا لَنَا لا نَتَّقِــي الذُّنُوبَــا

لَكِنْ قَسَى قَلْبٌ وَجَفَّتْ أَدْمُعُ   إِنَّا إِلَى الله إِلَيْهِ الْمَرْجِــعُ

فَنَسْأَلُ الرَّحْمَنَ سِتْرَمَا بَقِــي   وَعَفْوَهُ وَاللُّطْفَ فِيمَا نَتَّقِي

إذا لا بد من حلّ ومن علاج، من غير تطويل ولا لجاج، فإلى:

* * *

ثالثا؛ كيف يكون البناء، وما هي سبل الارتقاء؟:

لا بد للجماعة المجاهدة المتصدّية لعدوّها من واجب التربية الجماعية على الأخلاق الفاضلة والمثل العالية، بل وينبغي أن تمضي في ذلك قُدُما حتى لا يصيبها الإخفاق، ولا تتعثّر في سيرها وهي تقوم بمشروعها الكبير، ولأجل (أن الأخلاق مظنّة التوفيق والنجاح) كما تقدّم..

يقول الشيخ المجرّب البصير أبو مصعب السوري ـ نفع الله بعلمه ـ تحت فصل (بناء القاعدة الصلبة) من سِفْره الضخم (المقاومة الإسلامية العالمية) ما يلي:

(يجب الاهتمام بتربية النماذج، لا بإكثار الأعداد، لأن الناس إنما يتغير بفعل النماذج والأفذاذ.

علينا أن نعتني بالكيف لا بالكم، والفئة الصابرة والصادقة وإن كانت قليلة فإنها تنتصر بإذن الله: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾، (البقرة، من الآية:249)) اهـ عن: (المقاومة العالمية الإسلامية).

ويقول عملاق الفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله تعالى مستخلصا العظات والعبر من عزوة أحد، والتي من أهمها أن المعركة التي يخوضها المجاهد، أو التي أراد الله سبحانه منه أن يخوضها ليست معركة ميدان فحسب ولكنها كذلك معركة شعور ووجدان (أخلاق)، وأنه لا يمكن لمن انهزم في معركة الوجدان أن ينتصر في معركة الميدان، والسبب بسيط لمن تأمله وهو أننا إذا كنا عاجزين عن مقارعة ومغالبة نفوسنا

التي بين جنبينا والتي نحن أدرى وأعلم بمكائدها، فهل يمكننا أن نهزم عدونا المنفصل عنا، والذي لا يني في الكيد لنا، ومحاولة القضاء علينا، زيادة على أن المعركة التي يخوضها أهل الحق معركة متكاملة ظاهرا وباطنا (أخلاقا وقتالا) ومن حاول الفصل بين المعركتين أو الاقتصار على أحد السلاحين كان كساع إلى الهيجا (بنصف سلاح)، بل كان مفرطا في أعظم السلاحين، ومن كان هذا حاله، فمعلوم منقلبه ومآله، ولنترك سيدا رحمه الله يوضِّح لنا بأسلوبه الشيق الرقيق هذه الحقيقة، فهو الكاتب الهمام، الذي تنقاد إلى يراعه دقائق معاني الكلمات صاغرة بزمام، قال رحمه الله: (والقرآن كان يعالج الجماعة المسلمة ، على إثر معركة (يقصد أحدا) لم تكن ـ كما قلنا ـ معركة في ميدان القتال وحده، إنما كانت معركة في الميدان الأكبر، ميدان النفس البشرية، وميدان الحياة الواقعية.. ومن ثَمَّ عرج على الرِّبا فنهى عنه؛ وعرج على الإنفاق في السراء والضراء فحضّ عليه؛ وعرج على طاعة الله ورسوله فجعلها مناط الرحمة؛ وعرج على كظم الغيظ والعفو عن الناس، وعلى الإحسان والتطهر من الخطيئة بالاستغفار، والتوبة وعدم الإصرار؛ فجعلها كلها مناط الرضوان، كما عرج على رحمة الله المتمثلة في رحمة الرسول ﷺ ولين قلبه للناس، وعلى مبدأ الشورى وتقريره في أحرج الأوقات، وعلى الأمانة التي تمنع الغلول، وعلى البذل والتحذير من البخل في نهاية ما نزل في التعقيب على الغزوة من آيات..

عرج على هذا كله، **لأنه مادة إعداد الجماعة المسلمة للمعركة في نطاقها الواسع؛ الذي يتضمن المعركة الحربية في إطاره ولا يقتصر عليها، معركة التعبئة الكاملة للانتصار الكبير.. الانتصار على النفس والشهوات والمطامع والأحقاد، والانتصار في تقرير القيم والأوضاع السليمة لحياة الجماعة الشاملة .**

وعرج على هذا كله ليشير إلى وحدة هذه العقيدة في مواجهة الكينونة البشرية ونشاطها كله، وردّه كله إلى محور واحد: محور العبادة لله، والعبودية له، والتوجه إليه في حساسية وتقوى، وإلى وحدة منهج الله في الهيمنة على الكينونة البشرية كلها، في كل حال من أحوالها، وإلى الترابط بين جميع هذه الأحوال في ظل هذا المنهج، وإلى وحدة النتائج النهائية للنشاط الإنساني كله، وتأثير كل حركة من حركات النفس، وكل جزئية من جزئيات التنظيم في هذه النتائج النهائية.

وإذن فهذه التوجيهات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة، **فالنفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية، والذين تولوا يوم التقى الجمعان في «أحد» إنما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب، والذين انتصروا في معارك العقيدة وراء أنبيائهم هم الذين بدؤوا**

المعركة بالاستغفار من الذنوب، والالتجاء إلى الله، والالتصاق بركنه الركين، والتطهر من الذنوب إذن والالتصاق بالله، والرجوع إلى كنفه من عدة النصر، وليست بمعزل عن الميدان! واطراح النظام الرِّبوي، إلى النظام التعاوني من عدة النصر؛ والمجتمع التعاوني أقرب إلى النصر من المجتمع الرِّبوي، وكظم الغيظ والعفو عن الناس من عدة النصر، **فالسيطرة على النفس قوة من قوى المعركة، والتضامن والتواد في المجتمع المتسامح قوة ذات فاعلية كذلك..**) اهـ. (في ظلال القرآن - ج 1 / ص 426).

فسبيل النهوض ـ أيها الإخوة ـ يكون عن طريق تمتين وتحسين الأخلاق، ومساهمة في عملية البناء والنهوض أسوق لك هذه الجوهرة المكنونة، فخذها صيحة مدوِّية من البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى إذ يقول: (النهضات الصادقة **تبدأ من الأخلاق وتنتهي إلى الأخلاق)**، ويقول: (ابدأوا بتحرير أنفسكم من نفوسكم وشهواتها ورذائلها، فإذا انتصرتم في هذا الميدان فأنتم منتصرون في كل ميدان) من (الآثار) فإن لم نقتنع بهذا، فسنبقى في البداية نستأنف المحاولة! (إلا أن يشاء الله ربّ العالمين)..

وبعد الذي تقدم نسوق هذه النصائح..

* * *

رابعا: نصائح متفرقة، ومحاذير احذرها:

فـلا بد من رأب الصدوع   وجمع الصفوف، وردّ العلل

أخي المجاهد؛ هيا بنا نتصارح بهدوء، فلا بد من تجلية الظلام الذي سجى، فـ:

خُذْ يَا (أخيّ) هذه النَّصائحا   واسْتَعْمِلْنها غَادِيًا وَرَائِحَـا

فَحِفْظُهَا يَهْدِي إِلَى دَارِ الْبَقَـا   وَحُبُّهَا يَهْزِمُ أَجْنَادَ الشَّقَـا

فإلى سياقها:

*** لا تؤذي إخوانك:**

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾ (الأحزاب: 58)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ**﴾ (الضحى: 9-10).

وقال r فيما صح عنه: «**من ضيق منزلا أو قطع طريقا أو آذى مؤمنا فلا جهاد له**» رواه أحمد وأبو داود من حديث معاذ بن أنس t .

وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله r : «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**» متفق عَلَيْهِ.

وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله r : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» رواه مسلم.

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة t : «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

ثم تأمل يا عبد الله هذا الحديث ـ الذي يخلع القلوب ـ ؛ فعن جندب بن عبد الله t قَالَ : قَالَ رَسُول الله r : «مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» رواه مسلم.

وقال الربيع ابن خثيم رحمه الله: (الناس رجلان، مؤمن فلا تُؤْذه، وجاهلٌ فلا تجاهله).

فالأذىٰ يفرّق، ويشتت ويمزِّق، فانتبه:

واحرص علىٰ حفظ القلوب من الأذىٰ ... فرجوعها بعد التنافر يصعبُ

إنّ القلوب إذا تنافر ودّها ... شبهُ الزجاجة كسرها لا يشعبُ

وليكن دثارك وشعارك:

أكفّ شرِّي فلا أوذي به أحدا ... والخير أزجيه في قولي وفي قلمي

*** اجتنب التباغض والتقاطع والتدابر:**

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 10)، و قال تعالىٰ:﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤمنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ (المائدة : 54)، قال الحافظ ابن كثير الدِّمشقي رحمه الله تعالىٰ في تفسيره لهذه الآية الكريمة: (هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليِّه، متعززًا علىٰ خصمه وعدوِّه، كما قال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِّ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: 29)، وفي صفة النبي r أنه: (الضحوك القتّال)، فهو ضحوك لأوليائه، قتّال لأعدائه) اهـ.

فهل أنت ـ أخي في الله ـ من المؤمنين الكمّل أم لا؟ رجاء صارح نفسك، أم أنه تعارضت البيِّنة والشبهة؟!.

وعن أنس t : أَنَّ النَّبيّ r قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ» متفق عَلَيْهِ.

قال حافظ المغرب أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله تعالىٰ: (وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يحل التباغض لأن التباغض مفسدة للدِّين حالقة له، ولهذا أمر r بالتواد والتحاب حتىٰ قال تهادوا تحابوا) اهـ من: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد).

وعن أَبي هريرة t : أنَّ رسولَ الله r قَالَ : **«تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإثْنَيْنِ ويَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِالله شَيْئاً، إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بينهُ وَبَيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ فَيُقَالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هَذَينِ حَتَّى يَصْطَلِحَا!»** رواه مسلم.

فعجبا ثم عجبا؛ لمن يقرأ مثل هذه الآثار، ولا يُقْلع عما هو عليه من هَجْر أخيه لأجل شيء في نفسه (؟) ولعله الكبر، أو الانتصار للنفس وما إلى ذلك (نسأل الله لنا وللجميع العافية)..

أيها الأخ الكريم!: أما لك عينٌ تبكي عليك؟!..

والله لو أن القلوب سليمة	لتقطعت أسفا من الحرمانِ!!

فتسامحوا وتصالحوا:

وراغموا إبليس بالتسامحِ	والعفو والإحسان والتصافحِ
وكل شرٍّ جرَّه العتــــابُ	بينكم فســـتره المتـــــابُ
فإنها نصيـــــــحة مفيدة	مجتثّة لتلك النّفرة المبيـــدة

*** لا تظلم إخوانك:**

يقول تعالى في الحديث القدسي الجليل الذي إذا قرأه أبو إدريس الخولاني راويه عن أبي ذرّ t جثا على ركبتيه!: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا..**» رواه مسلم.

فالظلم عاقبته وخيمة، فعن جابر t : أنَّ رسول الله r قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**» رواه مسلم، وتأمل وفّقك الله جيدا مع: «**حَمَلَهُمْ عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ**»!!.

وقيل في منثور الحكم: (وَيْلٌ للظّالِمِ، من يوم المَظَالِمِ).

*** لا تسيء الظن بإخوانك؛ وهو (اعتقاد جانب الشرّ وترجيحه على جانب الخير فيما يحتمِلُ الأمرين معا):**

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾** [الحجرات:12]

(إن من الإثم أن يتّهم المسلم أخاه المسلم ويخوّنه، وما ذلك إلا إثمٌ محض حري بالمسلم أن يجتنبه ويترفع عنه، ولما كانت كثرة الظنون مفضية إليه جاءت السورة ـ الحجرات ـ بالتوجيه الرباني لتأمر المؤمنين باجتناب الظن احتياطاً لاحتمال التهمة في غير محلها، **وما ذلك التحفظ والاحتياط إلا لعظم حرمة المسلم**

وشدة قبح هذه الرذيلة؛ فقال تعالىٰ: ﴿**يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ (الحجرات: 12)، فناسب أن يأتي أسلوب التعبير بالاجتناب الكلي لأن من جرىٰ مع ظنونه واسترسل معها أَوْصَلَتْه إلىٰ ما لا يحمد عقباه مما يأثم به حتماً، ولقد جاءت السنة النبوية المطهرة لتؤكِّد هذا النهي حيث قال r : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» (صحيح البخاري/كتاب الأدب)، **فكان هذا أبلغ ما يكون في تطهير المجتمع المسلم من هذه القبيحة**) ما بين قوسين من رسالة: (آداب وضوابط المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات/ د.وسيم فتح الله).

وينصح أمير المؤمنين سيدنا عمر ابن الخطاب t بِحُسْن الظنّ بالمسلم فيقول: (لا تظننّ بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوء وأنت تجد لها في الخير محملا!).

فعجبا، لمن يجد لكلمة أخيه تسعة وتسعون محملا من محامل الخير، ومحملا واحدا من محامل الشر فيضعها فيه!!! يا عبد الله ما حملك علىٰ ما صنعت؟! أقول بلا مين؛ إنه سوء الظن بالمسلمين!..

ويقول زهرة التابعين سعيد بن المسيِّب t : (كتب إلي بعض إخواني من الصحابة أَنْ ضع أمر أخيك علىٰ الأحسن ما لم تغلب).

*** لا تغتب إخوانك (الشنيعة الصلعاء):؛ وهي (ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ):**

عن أبي هريرة t : أنَّ رسُولَ الله r ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟**» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أخَاكَ بِما يَكْرَهُ**» قِيلَ: أفَرَأيْتَ إنْ كَانَ في أخِي مَا أقُولُ ؟ قَالَ: «**إنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**» رواه مسلم.

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قُلْتُ للنبيِّ r : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكَذَا.

قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْنِي قَصيرَةً، فقالَ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!**» قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إنْسَاناً فَقَالَ: «**مَا أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنْساناً وإنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**» رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: (حديث حسن صحيح).

ومعنىٰ: («مَزَجَتْهُ» خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِها وَقُبْحِهَا، وهذا الحَديثُ مِنْ أبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيبَةِ) [رياض الصاحين/الإمام النووي].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

يقول صاحب رسالة: (آداب وضوابط المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات): (ولقد جاءت السورة ـ الحجرات ـ بصورة شديدة التنفير من هذه الرذيلة والقبيحة الاجتماعية؛ فشبّهت غيبة الرجل أخاه بأكل لحمه ميتاً حيث قال تعالىٰ: ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**﴾ [الحجرات: 12]، وهذا التشبيه التمثيلي من أروع الأساليب القرآنية وأشدها تأثيراً في نفس المكلّف، ولهذا التشبيه أوجهٌ عدة بين المشبّه والمشبّه به؛ **أولها** أن الذي يُغتاب لا يعلم أن أخاه يغتابه تماماً كما أن الميت لا يعلم من يأكل لحمه، و**ثانيها** أن الذي يَغتاب أخاه الحيّ قد هتك حرمة أخيه تماماً كما أن آكل لحم أخيه ميتاً قد هتك حرمته، و**ثالثها** أن الغيبة أمر مستقذرٌ في الطبائع السليمة تماماً كما أن أكل لحم الميت أمر مستقذرٌ طبعاً، وكل هذه المعاني دائرة حول تنفير المكلّف من هذه الخصلة المرذولة وتبشيعها في نفسه كما هي بشعة في نفس الأمر)

قال عَديٌّ بن حاتم: الغيبة مرعىٰ اللِّئام!.

وقال أبو عاصم النّبيل كما في ـ الآداب الشرعية لابن مفلح ـ: (لَا يَذْكُرُ فِي النَّاسِ مَا يَكْرَهُونَهُ إِلَّا سفلَةٌ لَا دِينَ لَهُ).

شرّ الورىٰ بمساوي الناس مشتغلٌ   مثل الذباب يراعي موضع العللِ

وعاب رجلٌ رجلا عند بعض الأشراف فقال له: قد استدللتُ علىٰ كثرة عيوبك بما تكثر من عيب الناس، لأن الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها!.

وبالجملة؛ كن رجلا! فقد قال أمير المؤمنين عمر **t** : لا يعجبنكم طنطنة الرجل ولكن من أدىٰ الأمانة وكفّ عن أعراض الناس فهو الرجل!.

فزنوا الناس بما سلف، فهي موازين عادلة، تكلم بها أصحاب القيم الفاضلة، وإلىٰ الله نشكو اختلال الموازين وانحرافها!..

وإن مما عمّت به البلوىٰ في أوساط الناس في هذا الزمان (اقتراف كبيرة الغيبة) وكأنها صارت عليهم حتما مقضيا! والمعصوم من عصمه الله تعالىٰ، ومن نجا منها فهي له كرامة نسأل الله العافية والسلامة..

وكان بعض العلماء لا يدع أحدًا يغتاب في مجلسه، ويقول: إن ذكرتم الله أعنّاكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم!.

وتأمل لو أن كل واحد منا يفعل ذلك، فهل يبقىٰ للمغتاب مسرح يهتك ويعبث فيه بأعراض إخوانه؟.

فبعض المجالس ـ عياذا بالله ـ فيها ضرر محض، ولعلها ـ في بعض الأحيان ـ تشبه مساجد الضرار ولكن

بهندسة جديدة! (شعر أصحابها أو لم يشعروا)، فَكُنْ أيها الأخ ـ إذا ابتليت بنتن تلك المجالس ـ آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، (فالقلب مطالب بأن ينكر بقلبه كل أنواع الفتن وأن يستشعر غيّها، فلا يعدّ أحدنا بريئا منها تمام البراءة إلا بمثل هذا الاستقباح).

فلنجعل مجالسنا ـ أيها الإخوة ـ رياضا من رياض الخير، فيها الدعوة إلى الخير، والتواصي بالحق، والتذكير بالآخرة، ومدارسة العلم وغيرها من أبواب البرّ (وما أكثرها)، حتى تصير مجالسنا كما قال الشاعر:

مجالسهم مثل الرياض أنيقةٌ   لقد طاب منها اللّون والرِّيح والطّعمُ.

فمجالس المجاهدين الصادقين، العاملين، المخلصين، الأتقياء الأنقياء، لا تعرف إلا زيادة الإيمان، والحديث عن مشاريع الجهاد لها هدفا..

وهذه بعض الأسباب الباعثة على الغيبة:

جاء في كتاب (آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة / الموسوعة الشاملة):

(عندما ينظر الإنسان المسلم العاقل ويفكِّر في الأسباب التي تدفع المغتاب إلى الغيبة وتدفع النّمّام إلى النّميمة فسوف يجد لذلك أسباباً منها ما يأتي:

السبب الأول: هو محاولة الانتصار للنفس والسعي في أن يشفي المغتاب الغيظ الذي في صدره على غيره، فعند ذلك يغتابه أو يبهته، أو ينقل عنه النميمة.

السبب الثاني: الحقد للآخرين والبغض لهم، فيذكر مساوئ من يبغض؛ ليشفي حقده ويبرِّد صدره بغيبة من يبغضه ويحقد عليه، وهذا ليس من صفات المؤمنين كاملي الإيمان نسأل الله العافية.

السبب الثالث: إرادة رفعة النفس وخفض غيره كأن يقول: فلان جاهل، أو فهمه ضعيف، أو سقيم، أو عبارته ركيكة، تدرّجاً إلى لَفْتِ أنظار الناس إلى فَضْل نفسه وإظهار شرفه بسلامته عن تلك النقائص التي ذكرها في مَنْ اغتابه، وهذا من الإعجاب بالنفس نعوذ بالله من ذلك، وهو من المهلكات التي بيّنها رسول الله r .

السبب الرابع: موافقة الجلساء والأصحاب والأصدقاء، ومجاملتهم فيما هم عليه من الباطل؛ لكي يكسب رضاهم حتى ولو كان ذلك بغضب الله عز وجل، وهذا من ضعف الإيمان وعدم مراقبة الله عز وجل) راجع البقية هناك (وفّقك الله تعالى).

ويتفرع عن تلك (ظاهرة التصنيف) التي فشت وبين القوم انتفشت:

فمن الظواهر الخطيرة التي عصفت بالمجتمع الجهادي، ظاهرة التصنيف الآثم..

فمن الناس من اشتغل بهذه الظاهرة الآثمة وجعلها هواية له، منها احتقار الناس، والعجب بالنفس وغيرها من الآفات..

أيها الرجل من كلّفك بهذه المهمة؟! دع عنك ما شانك، وامسك لسانك وابك على خطيئتك، ولتسعك عيوبك..

ولو جاز لي الحكم على أمثال هؤلاء لقلت: احذروا المصنِّفين (بغير حق)!..

هل يريد هذا أن يبرّز نفسه من خلال حكمه وتصنيفه للناس، وكأنه هو فوق ذلك كله (ويعطي لنفسه قصة كما يقال) وكأنه فوق الناس أجمعين، وممن لم يخلق مثله في البلاد، ورأيه هو الرأي السديد، وعقله هو العقل الرشيد، وكل شيء يراه دونه، كأنه يطل على الناس من كوكب (المريخ) وهم على الأرض! فينظرهم من عَلٍ، ورحم الله من ألقى بالعجب وراء ظهره ـ نسأل الله العافية لنا ولجميع المسلمين ـ..

أيها المغبون في دينك وخلقك: إذا كنت تريد بذلك التصنيف رفعة نفسك؛ ألا فاعلم أن بلوغ المعالي لا تنال بالمعاصي! ـ تصنيف الناس اعتداء وتجريحهم بغيا ـ..

يقول الشيخ العلامة بكر أبو زيد رحمه الله تعالى في كتابه النفيس (تصنيف الناس بين الظن واليقين) تحت عنوان (طُرُق التّصنيف):

(وإذا علمت فُشُوَّ ظاهرة التصنيف الغلابة، وإنّ إطفاءها واجب ، فاعلم أن المحترفين لها سلكوا لتنفيذها طُرُقا منها:

أنك ترى الجراح القصاب ، كلما مر على ملأ من الدعاة اختار منهم (ذبيحا) فرماه بقذيفة من هذه الألقاب المرّة، تمرق من فمه مروق السهم من الرمية، ثم يرميه في الطريق، ويقول: أميطوا الأذى عن الطريق،فإن ذلك من شعب الإيمان!!!

وترى دأبه التربّص، والترصّد: عين للترقّب وأذن للتجسّس، كل هذا للتحريش، وإشعال نار الفتن بالصالحين وغيرهم.

وترى هذا (الرمز البغيض) مهموما بمحاضرة الدعاة بسلسلة طويل ذرعها، رديء متنها، تجرّ أثقالا من الألقاب المنفِّرة، والتُّهم الفاجرة، ليسلكهم في قطار أهل الأهواء، وضلاّل أهل القبلة، وجعلهم وقود

بلبلة، وحطب اضطراب وبالجملة فهذا (القطيع) هم أسوأ (غزاة الأعراض بالأمراض) والعضّ بالباطل في غوارب العباد، والتفكّه بها، فهم مقرنون بأصفاد: الغل، والبغضاء، والحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب، والبهت، والإفك، والهمز، واللمز، جميعها في نفاذ واحد.

إنهم بحق: (رمز الإرادة السيئة) يرتعون فيها بشهوة جامحة، نعوذ بالله من حالهم، لا رعوا) اهـ كلامه وقس عليه! ونقول للمصنِّفين بغير حق: بئس المنتجع.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى: (فيا لله كم لهذه (الوظيفة الإبليسية) من آثار موجعة للجراح نفسه..

منها سقوط الجراح من احترام الآخرين، وتقويمه بأنه خفيف، طيَّاش، رقيق الديانة، صاحب هوىٰ، جرّه هواه وقصور نظره عن تمييز الحق من الباطل، إلىٰ مخاصمة المحقّ، والهجوم عليه بغير حقّ.

بل وسوأة عظمىٰ: احتساب المبتلىٰ هذا السعي بالفساد، من الدِّين، وإظهاره بلباس الشرع المتين، والتلذّذ بِذِكْره، ونَشْره.

حقا لقد أتعب التاريخ، وأتعب نفسه، وآذىٰ التاريخ، وآذىٰ نفسه، فلا هو قال خيرا فَغَنِم، ولا سكت فَسَلِم، فإلىٰ قائمة المقوتين في سجلّ التاريخ غير مأسوف عليهم:

إن الشقي بالشقاء مولع   لا يملك الرد له إذا أتىٰ.

وكم أورثت هذه التهم الباطلة من أذىٰ للمكلوم بها من خفقة في الصدر، ودمعة في العين، وزفرات تظلّم يرتجف منها بين يدي ربّه في جوف الليل، لهجا بكشفها مادّاً يديه إلىٰ مغيث المظلومين، كاسر الظالمين، والظالم يغطّ في نومه، وسهام المظلومين تتقاذفه من كل جانب، عسىٰ أن تصيب منه مقتلا.

فيا لله: (ما أعظم الفرق بين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له ، وبين من نام وأعين الناس تدعو عليه)) اهـ بحذف يسير وننصح بقراءة كتاب (التصنيف) فهو نفيس في بابه، فلا تتوانىٰ في طلبه، فقد أعلنها الشيخ حربا شعواء علىٰ ظاهرة التصنيف الفاجرة وقانا الله شرّها وحَرَّها وضرّها.

ومن التصنيف بالبغي، الوقيعة في أعراض غير المجاهدين (الشعب)؛ وكأن الكلام فيهم علىٰ سبيل الجملة أو التعيين ليس من الغيبة! وقد صارت أعراضهم عند البعض حمىٰ مستباحا عياذا بالله (لأنهم شعب!) ولا شك أن هذا شغَب ـ نسأل الله العافية ـ والسؤال: أليسوا من المسلمين؟!.. أيّها المصنف بغير حقّ: راقب ربك تعالىٰ، وامسك عليك لسانك..

وفي ختام موضوع الغيبة نواسي الذي اغتيب، فنقول:

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ ... وَيُعْطِيكَ أَجْرَيْ صَوْمِهِ وَصَلاتِهِ

وَيَحْمِلُ وِزْرًا عَنْكَ ظَنَّ بِحَمْلِهِ ... عَنْ النُّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ

فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَىٰ وَقُلْ رَبِّ جَازِهِ ... بِخَيْرٍ وَكَفِّرْ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ

فَيَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِي ... ثَوَابُ صَلاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ

فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيتُ عَدُوُّهُ ... يُعَامِلُ عَنْهُ اللهَ فِي غَفَلاتِهِ

فَلا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ ... بِإِمْعَانِهِ فِي نَفْعِ بَعْضِ عُدَاتِهِ

وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطًا ... عَلَىٰ رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ

وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ ... وَيَهْلَكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ

فَمَنْ يَحْتَمِلْ يَسْتَوْجِبِ الأَجْرَ وَالثَّنَا ... وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ

وَمَنْ يَنْتَصِفْ يَنْفَخ ضِرًا مَا قَدْ انْطَفَىٰ ... وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ

فَلا صَالِحٌ يُجْزَىٰ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... وَلا حَسَنٌ يُثْنَىٰ بِهِ فِي حَيَاتِهِ

يَظَلَّ أَخُو الإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ ... كَمَا فِي كِتَابِ اللهِ حَالَ مَمَاتِهِ

نسأل الله أن يجنّبنا الغيبة فهي مصيبة المصائب!..

* **لا تمشي بالنميمة بين إخوانك!** (وهي نقل الكلام بَيْنَ الناس علىٰ جهة الإفساد، وهي قبيحة؛ وإن كانت صحيحة!):

جاء في فتح الباري: (وقال الغزالي ما ملخّصه: النميمة في الأصل نقل القول إلىٰ المقول فيه، ولا اختصاص لها بذلك، بل ضابطها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو غيرهما، وسواء كان المنقول قولا أم فعلا، وسواء كان عيبا أم لا، حتىٰ لو رأىٰ شخصا يخفي ماله فأفشىٰ كان نميمة) اهـ [ج 10 ص: 473/الموسوعة الشاملة].

يقول الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان رحمه الله تعالىٰ: (عباد الله إن صفات الشر وخصال السُّوء ما وجدت في قوم إلا كَانُوا أهلاً لغضب الله وسخطه فاستحقوا الشقاء والذّلّ في الدّنيا والآخرة، وإن من أقبح الخصال وأشنع الخلال **الغيبة والنميمة**، وقد انهمك النّاس فيهما وصارت مجالسهم لا تعمر إلا بهما يسمع المرء من أخيه الكلمة ليفرج بها من كربه، ويخفّف بها من آلامه فينقلها إلىٰ صاحبها قصد الإيقاع به والتفريق بين المؤمنين، هذه يا عباد الله غاية الدناءة، ومنتهىٰ الخسّة والنّذالة واللآمة، ألا

شهامة تحمل النّمّام على كتمانه سرّ أخيه؟ ألا مروءة تمنعه من أن ينمّ على أخيه المسلم؟، إن النّمّام لا يعرف للشهامة سبيلاً، ولا للمروءة طريقًا، إن من ينمّ على المسلمين ليبدّل الود جفًا وبغضًا، والصفو كدرًا وحقدًا، ويفتح أبواب الشرور والجنايات على مصراعيها بين المؤمنين من أكبر المصائب، وأشدّ الرّزايا على هذا المجتمع الإنساني..) اهـ. [موارد الظمآن لدروس الزمان ج 5 ص13 ـ 14/الموسوعة الشاملة].

ويقول أيضا: (فالنمّ خُلُق ذميم، لأنه باعث للفتن وقاطع للصِّلات وزارع للحقد، ومفرِّق للجماعات، يجعل الصديقين عدوّيّن والأخوين أجنبيين، والزّوجين متنافرين، فهذه المعصية معصية النّميمة، ولا يرضاها لنفسه إلا من انحطت قيمته ودنأت نفسه، وكان عندها حقيرا، وصار كالذباب ينقل الجراثيم!) (المصدر السابق).

يقول الشيخ أبو أحمد عبد الكريم الجزائري حفظه الله تعالى: (ولا شك أيها الإخوة أن النميمة من كبائر الذنوب، بل عدّها بعض أهل العلم رحمهم الله نوع من أنواع (السِّحر!) بجامع أنها والسِّحر يفرِّقان بين المرء وأخيه، والمرء وزوجه، كما قال تعالى عن السحر: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾ (البقرة: من الآية102)، ولا شك أن النميمة تفعل نفس الفعلة الشنيعة (التفريق!)) اهـ كلامه.

والواقع خير شاهد على ذلك! فهي تنسف روابط الأخوة كما ينسف السيل الدِّمن!..

قال تعالى: ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ (ن: 11) وقال تَعَالَى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ (ق: 18).

وعن حذيفة **t** قال: قال رسول الله **r** : «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**» متفق عليه.

وعن ابن مسعود **t** : أن النَّبيّ **r** قَالَ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**» رواه مسلم.

«العَضْهُ»: بفتح العين المهملة، وإسكان الضاد المعجمة، وبالهاء على وزن الوجه، وروي (العِضةُ) بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العِدَة، وهي: الكذب والبهتان، وعلى الرّواية الأولى: العَضْهُ مصدرٌ يقال: عَضَهَهُ عَضهاً، أيْ: رماهُ بالعَضْهِ.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث عن ابن عباس قال: مرّ رسول الله **r** بقبرين فقال: «**إنهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»..

جاء في كتاب (وقاية الإنسان من شياطين الإنس والجان/علي بن نايف الشحود): (ولم يكن بدّ للإسلام أن يشدِّد في النّهي عن هذا الخلق الذّميم الوضيع، الذي يفسد القلب، كما يفسد الصّحب، ويتدنّى بالقائل قبل أن يفسد بين الجماعة، ويأكل قلبه وخُلُقه قبل أن يأكل سلامة المجتمع، ويفقد الناس الثِّقة بعضهم

ببعض،ويجني على الأبرياء في معظم الأحايين!

وكلُّ مَنْ حُمِلت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان كذا، **لزمه ستة أمور:**

الأول: أن لا يصدِّقه، لأن النَّمامَ فاسقٌ، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبِّح فِعْله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (الحجرات: 6).

الثالث: أن يبغضَه في الله تعالى، فإنّه بغيض عند الله تعالى، والبغضُ في الله تعالى واجب.

الرابع: أن لا يظنّ بالمنقول عنه السوء، لقول الله تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظنّ**﴾ (الحجرات، من الآية: 12).

الخامس: أن لا يحملَك ما حُكي لك على التجسّس والبحث عن تحقيق ذلك، قال الله تعالى: ﴿**ولا تَجَسَّسُوا**﴾ (الحجرات، من الآية: 12).

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمّامَ، عنه فلا يحكي نميمته.

وقد جاء أن رجلاً ذَكَرَ لعمرَ بن عبد العزيز t رجلاً بشيء، فقال عمر: إن شئتَ نظرنَا في أمرك، فإن كنتَ كاذباً فأنتَ من أهل هذه الآية:﴿إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وإن كنتَ صادقاً، فأنتَ من أهل هذه الآية:﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنَمِيمٍ**﴾ وإن شئتَ عفونا عنك، قال: العفو يا أميرَ المؤمنين لا أعودُ إليه أبدا.

ورفع إنسانٌ رُقعةً إلى الصاحب بن عبّاد يحثُّه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا، فكتب على ظهرها: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميّت رحمه الله، واليتيم جَبَره الله، والمال ثَمَّره الله، والساعي لعنه الله.

قال الشّاعر:

تنحّ عن النّميمة واجتنبها   فإنّ النّمّ يحبـط كلّ أجرِ

يثير أخو النّميمة كلّ شرّ   ويكشف للخلائق كلّ سرِّ

ويقتل نفسه وسواه ظلما   وليس النّمّ من أفعــال حُرِّ

ومن البلايا؛ أنه من نَمَّ إليك؛ نَمَّ عليك! كما قيل؛ وفي هذا يقول الشاعر:

لا تقبلنّ نميـــــمة بلّغتها   وتحفّظنّ من الّذي أنباكها

إنّ الّذي أهدىٰ إليك نميمة   سينمّ عنك بمثلها قد حاكها

فها هو النمام ـ عدوّ نفسه ـ قد بان شرُّه، وافتضح سرّه.. ونقول له: لقد جئت ـ أيها الأثيم ـ شيئا نُكْرا، وأبقَيْتَ لك في المخزيات ذِكْرا، فلماذا فعَلْتَ فعلتك التي فعَلْت وأنت من الظالمين؟..

يقول الإمام بن القيم رحمه الله: (أربعة يعشقهم الذّل أشد العشق: الكذاب والنمام!! والبخيل والجبار) (مدارج السالكين) فاحذر أن تذلّ وتضلّ!.

وجاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله فقال له: فلان يقول فيك كذا وكذا..

فقال له الحسن: أما وجد الشيطان بريدا غيرك!! فرحمه الله على صراحته وفصاحته.

وإلى الذي يُنَمّ إليه نقول:

إِذَا وَاشٍ أَتَاكَ بِقَــــوْلِ زُورٍ　　فَلا تَدَعِ الصَّدِيق لِقَوْلِ وَاشِي

وَلا تَصْحَبْ قَرِينَ السُّوءِ وَانْظُرْ　　لِنَفْسِكَ مَنْ تُقَارِنُ أَوْ تُمَاشِي

وقد وصف الشاعر النّمام فقال:

وَصَاحِبُ النَّمِّ كَالدَّاءِ الْعَيَاءِ إِذَا　　مَا ارْفَضَّ فِي الْجِلْدِ يَجْرِي هَا هُنَا وَهُنَا

يُبْدِي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ　　وَمَـا يَرَىٰ عِنْدَهُ مِنْ صَـــالِحٍ دَفَنَا

وإذا دعاك النمام إلى مائدته فاقرع سمعه بقول الشاعر:

لا تَسْعَ بين الصاحبين نميمة　　فلأجلها يتباغض الخِلّانِ

واختيار الشاعر للفظة (الخلّان) ليس اعتباطا، وإنما هي مختارة بدقة وعناية؛ فتأمل مدىٰ ضرر النميمة!..

ومن مضار النميمة كما في (وقاية الإنسان من شياطين الإنس والجان):

1. طريق موصّل إلى النّار.
2. تذكي نار العداوة بين المتآلفين.
3. تؤذي وتضرّ،وتؤلم،وتجلب الخصام والنّفور.
4. تدلّ على سوء الخاتمة،وتمسخ حسن الصّورة.
5. عنوان الدّناءة والجبن والضّعف والدّسّ والكيد والملق والنّفاق.
6. مزيلة كلّ محبّة ومبعدة كلّ مودّة وتآلف وتآخ) اهـ

أخي المجاهد: تلك هي الخصلة المذمومة عند الله، المحمودة عند عدوّ الله إبليس، فاجتنبها ولا تؤذي بها الجليس، واحذر أن تصبك بسهم إهانتها، فسهامها قاتلة! (عافانا الله وإياك)..

(فاحذر أخيّ) غَيْبَةَ الأَنَام　　لَفْظًا وَتَعْرِيضًا مَدَىٰ الأَيَّام

وَالْهَمْزَ وَاللَّمْزَ مَعَ النَّمِيمَةْ　　فَإِنَّهَا ذَخَـــائِرُ ذَمِيــــــمَةْ

* **احذر الحقد والحسد:**

وَالْحِقْدُ دَاءٌ لِلْقُلُوبِ وَالْحَسَدُ   رَأْسُ الْعُيُوبِ فَاجْتَنِبْهُ وَاقْتَصِدْ

الحسد كما هو معلوم حرام، وهو تمنّي زوال النِّعمة عن صاحبها، سواء كانت نعمة دين أو دنيا، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ (النساء من الآية: 54).

قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله تعالى: (قد ذَمَّ الله عزّ وجلّ قوما على حسدهم آخرين آتاهم الله من فضله فقال: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ وقال:﴿**وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ** -إلى قوله- **وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [التمهيد ج 6 ص: 122/الموسوعة الشاملة].

وعن أنس t : أنَّ النَّبيّ r قَالَ:«**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ**» متفق عليه.

(قال بعض العلماء: وفي النّهي عن التباغض إشارة إلى النّهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض) [شرح النووي على مسلم ج 16ص: 116/الموسوعة الشاملة].

و عن الزبير بن العوام t قال: قال رسول الله r : «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد و البغضاء**» رواه الترمذي و أحمد،وحسنه الألباني رحمه الله تعالى.

ومن آداب العشرة **ترك الحسد**، قال أبو البركات الغزّي رحمه الله تعالى وهو يعدّ بعض آداب العِشْرة:

(**ترك الحسد**: ومنها ألا يحسدهم على ما يرى عليهم من آثار نعمة الله، بل يفرح بذلك، ويحمد الله على ذلك كما يحمده إذا كانت عليه) [آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة].

ومن الأسباب الباعثة على الغيبة؛ الحسد، جاء في كتاب: (آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة): (عندما ينظر الإنسان المسلم العاقل ويفكر في الأسباب التي تدفع المغتاب إلى الغيبة، وتدفع النّمّام إلى النّميمة فسوف يجد لذلك أسباباً منها ما يأتي:

السبب الثامن: الحسد، فيحسد المغتاب من يُثني عليه الناس ويحبّونه فيحاول المغتاب الحسود قليل الدِّين والعقل أن يزيل هذه النعمة فلا يجد طريقاً إلى ذلك إلا بغيبته والوقوع في عرضه حتى يزيل نعمته أو يقلّل من شأنه عند من يثنون عليه، وهذا من أقبح الناس عقلاً وأخبثهم نفساً نسأل الله العافية.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله r أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقيُّ النّقيُّ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد**») اهـ.

(ومن أدوية الحسد، الفكر في أنه اعتراض على الله تعالى في حكمته المقتضية تخصيص المحسود بالنعمة، مع أنه محض ضرر على الحاسد يجلب له الغمّ، وتعب القلب، وتعذيبه بما لا ضرر فيه على المحسود) ما بين قوسين من كتاب: [آداب العلماء والمتعلمين ـ الحسين ابن المنصور اليمني /الموسوعة الشاملة].

أما أنت أيها المحسود:

دَعِ الحسود وما يلقاه من كَمَدٍ　　يكفيك منه لهيب النار في كَبِده
إن لُمتَ ذا حسد نفَّثت كربتهُ　　وإن سكتَّ فقد عَذَّبته بِيَده

وقم كشبل مثار، وأنشد من غير عثار:

إن يحسدونني فإني غير لائمهم　　قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فَدَامَ لي ولهم ما بي وما بِهِمُ　　ومات أكثرنا غيظا بما يجدُ
أنا الذي يَجِدُونني في صُدورهمُ　　لا أرتقي صَدّرًا منها ولا أَرِدُ

فائدة: قال المبرّد: (النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها: التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه: العُجّب).

ملاحظة: قد يتمنى الإنسان ما عند الغير دون تمنِّي زوال النِّعمة عنه؛ فهذا يسمى غبطة،و هي جائزة في موضعين: قال ﷺ : «**لا حسد إلا في اثنتين:رجل آتاه الله عز وجل القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا،فهو ينفقه في الحق آناء الليل و آناء النهار**» رواه الشيخان.

*** لا تحتقر أحدا من إخوانك ولا تسخر ولا تستخف بأحد منهم، واحذر العجب والكبر والغرور:**

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: 11]..

وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : «**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهَّ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»..

أيها الأخ المسلم.. لا تقلّل من شأن أحد من إخوانك، ولا تزدريه وتشمخ عليه بأنفك ، ولا تسخر منه، فكل ذلك منهي عنه كما علمت..

(إن هذا السلوك الاجتماعي الشائن ـ السخرية ـ يعكّر على أفراد المجتمع المسلم صفو علاقتهم، ويكدِّر صفاء مبادئهم؛ فلا يسلم الاعتقاد بأفضلية المسلم وتساويه في الحقوق مع أخيه المسلم مع الاستهزاء به والسخرية منه، فكان لا بد من توجيه قرآني يلفت الانتباه إلى أصل الرابطة الإيمانية المشتركة بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾ ثم يأتي النهي بلون تعبيري مميّز: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾، ﴿**وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ**﴾ لأن السخرية تغلب فيها المشاركة، فناسب أن يأتي النهي بهذا اللّون..

والسخرية منافية لخلق المسلم لأن فيها استعلاء بغير الحق، ولذلك نبّهت الآية الكريمة على ذلك ﴿**عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾، أي الخيرية الشرعية، فذلك الذي تسخر منه لأمر دنيوي قد يكون خيراً منك في المعيار الشرعي، فيكون استعلاؤك عليه تقديم لأمر الدنيا على أمر الآخرة، وتقديم لهوى النفس على معيار الشرع والعياذ بالله، هذا بالإضافة إلى ما تحدثه هذه السخرية من غِلّ في النفوس، وشرٍّ بين الناس حتى إن الله علم نبيَّه **r** والمسلمين أن يستعيذوا به من هذا الشرّ؛ قال سبحانه: ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ ما بين قوسين من رسالة: [آداب وضوابط المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات/ د.وسيم فتح الله].

ألا؛ فاعرف قدر كل واحد من إخوانك وأنْزِلْه منزلته، قال الإمام عبد الله ابن المبارك رحمه الله تعالى: (من استخفّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخفّ بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخفّ بالإخوان ذهبت مروءته) وتأمل الأخيرة! (فالله الله في مروءتك).

واحذر تلك الفلتات التي تخرج جزافا من بعض الألسن التي تستحق الحبس، والتي من شأنها احتقار مواهب الناس وقدراتهم وأفكارهم، فما هكذا يفعل الصالحون!

يقول الشيخ أبو قتادة ـ فكّ الله أسره ـ: (الصِّغار مهما كبرت مناصبهم وأسماؤهم هم الذين لا يرون إلا أنفسهم، ولا يثقون إلا بأقوالهم، وأما الكبار فهم الذين يسَعُون الناس ويصبرون على متابعتهم والاستماع لهم واحتمال آرائهم والنـزول عليها) من كتابه الفذّ [الأربعون الجياد لأهل التوحيد والجهاد] وهو كاسمه، ويقول أيضا: (وغرور الناس في صنعتهم مفسدة للرَّكْب، وهي أشبه بدعوى الجاهلية، وحقيق أن يقال لمن تطاول على إخوانه بِنَسَب الصنعة أن يقال له كما يقال للمفتخر بِنَسَب الآباء) اهـ [نفس المرجع].

وللطغرائي هذه:

لا تحقرنّ الرأي وهو موافـقٌ حُكْم الصواب وإن بدا من ناقصِ

فالدرّ وهو أجلّ شيء يقتنى ما حطّ رتبته هوان الغـــــائصِ

ويقول آخر:

لا تحقرنّ الرّأي يأتيك الحقير بِهِ فالنّحل وهو ذباب طائر العسلِ

لا خَيْرَ فِيمَنْ يَحْقِرُ الضَّعِيــفَا كِبْرًا و لا مَنْ يَحْسُــدُ الشَّرِيفَا

و(إن من الشِّعر لحكمة)، ومن الأمثال السائرة: (يوجد في النهر، ما لا يوجد في البحر) والحكمة ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحق بها فاجعلها قاعدة نصب عينيك..

وتلك الآفات الآنفة الذِّكر؛ جلّها ناتج من العُجْب والغرور، ورحم الله ابن حزم على حزمه إذ يقول رحمه الله تعالى: (الْعُجْب أصل يتفرّع عنه التّيه! والزهو! والكبر! والنخوة! والتعالي!) اهـ من: (الأخلاق والسير)، فماذا بقي من المساوئ لم يجمعها العُجب؟! ولأجل خطر تلك الآفة الفتّاكة نسوق ما يلي فَعِه:

يقول ابن حزم الأندلسي رحمه الله تعالى: (مَن امتُحن بالعُجب فليفكِّر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله فليفتِّش ما فيه من الأَخْلاَق الدنيئة، فإن خَفِيَت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنه لا عيب فيه، **فَلْيَعْلم أن مصيبته إلى الأبد!**، وأنه **لَأَتَمّ الناس نقصاً، وأعظمهم عيوباً. وأضعفهم تمييزاً.**

فإن أعجبت بعقلك ففكِّر في كل فكرة سوء تحل بخاطرك، وفي أضاليل الأماني الطائفة بك، **فإنك تعلم نقص عقلك حينئذ.**

وإن أعجبت بآرائك فتفكّر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كل رأي قدّرته صواباً فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، فإنك إنْ فعلت ذلك **فأقلّ أحوالك أن يوازن سقوط رأيك بصوابه فتخرج لا لك ولا عليك**، والأغلب أن خطأك أكثر من صوابك، وهكذا كل أحد من الناس بعد النَّبِيِّين صلوات الله عليهم.

وإن أعجبت بعملك فتفكَّر في معاصيك وفي تقصيرك وفي معاشك ووجوهه، فو الله لتجدنّ من ذلك ما يغلب على خيرك ويعفي على حسناتك **فليطل همّك حينئذ، وأبدل من الْعُجْب تنقصاً لنفسك.**

وإن أعجبت بشجاعتك فتفكّر فيمن هو أشجع منك، ثم انظر في تلك النّجدة التي منحك الله تعالى فِيمَ صرفتها، فإن كنت صرفتها في معصية **فأنت أحمق**، لأنك بذلت نفسك فيما ليس ثمناً لها، وإن كنت صرفتها في طاعة **فقد أفسدتها بعجبك**) اهـ (المصدر السابق) ولله درّه.

وآفة هذه الآفات أن يعجب الإنسان بنفسه لغير معنىٰ! وهلمّ نتحاكم علىٰ سفور عند ابن حزم رحمه الله تعالىٰ فاسمع إليه حيث يقول: (وقد يكون الْعُجْب لغير معنىٰ! ولغير فضيلة في المعجب! وهذا من عجيب ما يقع في هذا الباب وهو شيء يسميه عامتنا "التمترك" وكثيراً ما نراه في النساء وفيمن عقله قريب من عقولهن من الرجال!) اهـ، ويقول رحمه الله تعالىٰ: (فإن استحقرت عيوبك ففكِّر فيها لو ظهرت إلىٰ الناس، وتمثَّل إطلاعهم عليها، **فحينئذ تخجل وتعرف قدر نقصك إن كانت لك مُسكة من تمييز!**) اهـ (المصدر السابق).

والنصيحة الأخيرة في هذا الباب: احذر ـ أيها المسلم ـ فورة العجب أن تحرقك! ورحم الله امرءا ألقىٰ بالعُجْب وراء ظهره كما قال أحد من السلف..

أما الكِبْر ـ عياذا بالله تعالىٰ ـ فهو كما بينه عليه الصلاة والسلام في قوله: «**الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**» رواه مسلم، (ومعنىٰ: «**بَطَرُ الحَقِّ**»: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَىٰ قَائِلِهِ، و«**غَمْطُ النَّاسِ**»: «**احْتِقَارُهُمْ**») اهـ [رياض الصالحين/الإمام النووي].

وأورد رحمه الله تعالىٰ في نفس المرجع تحت باب (تحريم الكبر والإعجاب):

قولَه تعالىٰ: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص: 83)، وقولَه تعالىٰ: ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحا**﴾ (الإسراء: 37)، وقولَه تَعَالَىٰ: ﴿**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (لقمان : 18).

ثم قال رحمه الله تعالىٰ: (ومعنىٰ ﴿**تُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾: أيْ تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّراً عَلَيْهِمْ. وَالمَرَح: التَّبَخْتُرُ) اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير الكبر: (التكبر هو رد الحق، واحتقار الخلق، وضد ذلك التواضع، فقد أمر به وأثنىٰ علىٰ أهله، وذكر ثوابه؛ فهو قبول الحق ممن قاله، وأن لا يحتقر الخلق، بل يرىٰ فضلهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه) اهـ .

نسأل الله أن يعافينا وجميع المجاهدين من الكبر والغرور والعجب بالنفس، وأن يرزقنا التواضع في غير ذلّ، فهي الخصلة الجميلة و(النعمة التي لا يحسد صاحبها) كما سبق في قول المبرّد.

ونختم الحديث عن البليتين بقول الشاعر:

لا رَأْيَ لِلْمُعْجَبِ تِيهًا فَاعْلَمِ   وَلا لِذِي كِبْرٍ صَدِيقٌ فَافْهَمِ

شَرُّ الأُمُورِ الْعُجْبُ فَاجْتَنِبْهُ   وَالْبُخْلَ مَا حَيِيتُ صدَّ عَنْهُ

فَالْكِبْرُ دَاءٌ قَــاتِلُ الرِّجَالِ   دَوَاؤُهُ تَوَاضُعِ الأَبْطَــالِ

عتاب.. وكم جر العتاب إلى متاب وحسن مآب:

ويدخل ضمن ما تقدّم ظاهرة ازدراء الشعب المسلم بكلمات السوء المختلفة، والتي تمجّها النفوس الأبية مجّا، ولا بد أن نسأل أنفسنا بصدق:

هل هكذا كانت أخلاق نبينا الكريم r ، وهل هكذا كانت دعوة سلفنا الصالح للناس؟

كلا وحاشا.. إذن؛ كيف تزعم حبّهم بلسانك، وتخالفهم بأفعالك؟ **(عار عليك إذا فعلت عظيم)..**

ألا؛ إن من أخلاق الداعية الرّفق بالناس المدعوِّين، والنصح لهم والشفقة عليهم، وتوسيع المعاذير لهم في إطار المعيار الشرعي، خاصة في ظروف مثل ظروفنا؛ حيث نَسَفت حملات التغريب والتضليل ما تبقى من دين الناس وأخلاقهم، وغَزَتْهم غزوا لا يعرف له مثيلا في تاريخ البشرية!..

فالواجب الحرص على هداية الناس، وتعليمهم، ونصحهم، وإنقاذهم من براثين جاهلية هذا القرن؛ لا ازدراؤهم والانشغال بتصنيفهم وإطلاق الأحكام عليهم فحسب، وإطلاق بعض الكلام فيهم والتي ننزِّه هذه الرسالة من ذِكْره.

نعم أيها الأخ المجاهد.. لا بد من نظرة رحمة ورأفة ـ كما في الهدي النّبوي ـ تقود اللِّسان إلى أن يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، وتقول: «**اللهم أخرج من أصلابهم من يعبدك ويدعو إليك، ويجاهد في سبيلك**»، فهذا هدي نبيك r فاسلكه، والبس لكل حالة لبوسها، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه ومن أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا، ولها كما يقول العلاّمة ابن القيّم رحمه الله تعالى: **(ثلاثة أركان: العلم والحلم والأناة، وآفاتها وأضدادها: الجهل والطيش والعجلة، فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول؛ والله أعلم)** [مدارج السالكين ج 2 ص: 480/الموسوعة الشاملة].

ثمّ هل تحب ـ أيها المجاهد ـ أن نَزِنَك بذلك الميزان المختلّ الذي تَزِن به الناس؟! أم أن إطلاق الأحكام الشرعية صار عندنا يراعي فلان وعلان كحال بني إسرائيل ـ عياذا بالله تعالى..

أقول وأخاطبك وجها لوجه (راس راس): اعلم أننا لو نطلق تلك الأحكام كما نطلقها على من نعنيهم بهذا الحديث لخرجنا مفاليسّ!، إي وربي إنه لحق! فاتق الله إذن في أعراض المسلمين، ولا تفُه ببادرة، وسل من

ربك العافية ولا تشمت بالناس:

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما　　　من خشـــية الرحمن باكيتـــانِ

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم　　　فالقلـب بين أصـــابع الرحمـنِ

واحذر كمائن نفسك التي متى　　　خرجت عليك كسرت كسر مُهانِ!

*** اصدق الحديث وإياك والكذب فإنه وصمة عار:**

أخي في الله: إن الصدق منجاة وهو نباهة، والكذب مهلكة وهو عاهة، وهو ـ كما قيل ـ (حبله قصير)، وصاحبه ذليل حقير: «**وإن الرّجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقا وإنّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**» كما ثبت عنه **r** ، وفي رواية «**ليتحرّى الصِّدق وليتحرّى الكذب**» وفي رواية: «**عليكم بالصّدق فانّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإياكم والكذب**»، قال النووي رحمه الله: (قال العلماء: هذا فيه حثٌّ على تحرِّي الصِّدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلى التّحذير من الكذب والتساهل فيه، فانه إذا تساهل فيه كثر منه فَعُرف به، وكتبه الله لمبالغته صدِّيقا إن اعتاده، أو كذّابا إن اعتاده) [شرح النووي على مسلم:16/ 160 الموسوعة الشاملة].

قال سبحانه وتعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾(التوبة: 119)..

يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى: (أي: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ باللهّ، وبما أمر اللهّ بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى اللهّ تعالى، باجتناب ما نهى اللهّ عنه والبعد عنه.

﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا، خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصِّدق يهدي إلى البرّ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة، قال الله تعالى: ﴿**هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾ الآية) [تفسير السعدي ج 1 ص: 355/الموسوعة الشاملة].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النَّبيّ **r** قَالَ: «**أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أؤْتُمِنَ خانَ، وَإِذَا حَدَّث كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**» متفق عَلَيْهِ.

وقال ابن مسعود **t** : (أعظم الخطايا **اللسان الكذوب!**)، يرحمك الله لِمَ يا ابن مسعود (رضي الله عنك)؟، وأظنه لو استُجيب لأجاب بقوله **r** : «**وإن الكذب يهدي إلى الفجور**»!، فالصدق الصدق عباد الله!..

قَالَ بِشْرُ بْنُ بَكْرٍ رَأَيت الْأَوْزَاعِيَّ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ فَقُلْت: وَأَيْنَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ؟ فَقِيلَ: رُفِعَ،

فَقُلْت بِمَاذَا ؟ قَالَ : لِصِدْقِهِ!.

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: الْكَذَّابُ لِصٌّ ؛ لِأَنَّ اللِّصَّ يَسْرِقُ مَالَك، **وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَك!.**

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنْ الْكَذِبِ وَصِدْقُ اللِّسَانِ **أَوَّلُ السَّعَادَةِ.**

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الصَّادِقُ مُصَانٌ خَلِيلٌ، وَالْكَاذِبُ **مُهَانٌ ذَلِيلٌ.**

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ، وَلَا عَوْنَ كَالصِّدْقِ.

وقد تقدم قول الإمام بن القيم رحمه الله تعالى: (أربعة يعشقهم الذل أشد العشق: **الكذاب!** والنمام والبخيل والجبار) (مدارج السالكين)..

فإذا رأيت رجلا يتساهل في الكذب فكبِّر عليه، واسأل الله أن يعافيك مما ابتلاه به، والمعصوم من عصمه الله تعالى..

*** تثبَّت من أي شيء تحكيه، أو تسمعه واحذر الشائعات:**

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾ (النساء:83)..

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (الحجرات : 6).

وعن أَبي هريرة t أنَّ النبيَّ r قَالَ: «**كَفَى بالمَرْءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» رواه مسلم.

أخي المجاهد: لا ترمي فتيل الشائعات هنا وهناك، فمعظم النار من مستصغر الشرر، واعلم أننا في زمان قَلَّ فيه من يضبط الكلام بحرفه، وربما أفسده بتصرّفه فيه، أو نقله لما فَهِم ـ وقد يكون أخطأ الفهم ـ وقد حصل من هذا عجائب، وكما قال الإمام الزهري رحمه الله: يا أهل العراق، يخرج الحديث من عندنا شبرا، ويصير عندكم ذراعا.

فإذا كان هذا في زمان الزهري رحمه الله فما الظن بزماننا هذا؟!

فننصح السامع بأن: (تثبت من الشائعات) ولا تجعل أذنك معبرا للواردات ولسانك مضخّة للمختلقات.

*** لا تمش بين الناس بوجهين:**

قال تعالى:﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ القَولِ وكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً**﴾. (النساء : 108).

وعن أَبي هريرة t قَالَ قَالَ رسول الله r : «**تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ: خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلاَمِ**

إِذَا فَقُهُوا، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لَهُ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ، الَّذِي يَأتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ» متفق عَلَيّهِ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كان له وجهان في الدنيا؛ كان له يوم القيامة لسانان من نار**» (السلسلة الصحيحة).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا**» (المصدر السابق).

فتفقّد نفسك، ولا تفسد دينك وتخدش مروءتك ـ عافانا الله وإياك ـ، قال الشاعر، فـ:

من لم يصن عرضه مما يدنسه   عارٍ وإن كان مغمورا من الحُللِ

وضع هذا نصب عينيك:

لا تمش ذا وجهين من بين الورىٰ   شر البرية من له وجهانِ!

ومن كان كذلك، سَيُذَلّ ويُهَان ـ نسأل الله السلامة ـ..

*** لا تسبّ إخوانك:**

قَالَ الله تعالىٰ: ﴿**والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا، فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإثْماً مُبِيناً**﴾

وعن ابن مسعود t قَالَ: قَالَ رسُولُ الله r: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ**» متفق عَلَيّهِ.

وعن ابن مسعود t قَالَ قَالَ رسُولُ الله r: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ، وَلاَ البَذِيِّ**» [رواه الترمذي، وقال: (حديث حسن)] طعّانا؛ أي: (وقاعاً في أعراض الناس بالذم والغيبة والطعن في النسب).

وعن أَبي هريرة t أنَّ رسولَ الله r قَالَ: «**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**» رواه مسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في شرحه: (معناه أنَّ إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار، فيقول للبادئ أكثر مما قال له، وفي هذا جواز الانتصار.. ومع هذا فالصبر والعفو أفضل). (شرح النووي علىٰ مسلم ج 16 ص: 140 ـ 141/ الموسوعة الشاملة).

فيا أيها الأخ الحبيب: اضبط لسانك وفّقك الله تعالىٰ، ولا تحلّ مشاكلك بالسباب والوقاحة، واسلك سبيل من أناب إلىٰ الله يقيك الله شر لسانك..

*** لا تظهر الشماتة لأخيك:**

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾(الحجرات: 10) وقال تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ**﴾(النور: 19).

وعَن وَائِلَةَ بن الأسقع t قَالَ قَالَ رسول الله r : «**لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**» رواه الترمذي وقال: (حديث حسن).

والجزاء من جنس العمل، وإظهار الشماتة لا يظهرها إلا من في قلبه علّة، وفي دينه رهق وذلّة ـ نسأل الله العافية ـ ومقتضىٰ الأخوة الإسلامية يمنع من ذلك، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسه**» رواه البخاري ومسلم.

*** احترم من هو أكبر منك سنًا ، واعطف على من هو أصغر منك سنًّا:**

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه رضي الله عنهم قَالَ : قَالَ رَسُول الله r : «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبيرنَا**» حديث صحيح رواه أَبُو داود والترمذي، وَقَالَ الترمذي : (حديث حسن صحيح)، وفي رواية أبي داود: «**حَقَّ كَبيرنَا**».

وقد عمت البلية بين المسلمين في هذه القضية، ويكاد لم يبق إلا اسمها؛ فتأمل وفتّش وانظر، وكأن كل الناس علىٰ سنّ واحدة، ولا تميّز بين هذا وذاك! وإنا لله وإنا إليه راجعون، صارت أدواؤنا كالطاعون! نسأل الله تعالىٰ العافية، وأن يردنا إلىٰ طاعته ردا جميلا..

*** لا تتجسّس على إخوانك، ولا تتّبع عوراتهم واسترها قدر ما استطعت:**

قال الله تعالىٰ:﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾.

وقال r : «**ولا تحسَّسوا وَلاَ تَجَسَّسُوا..**» متفق عليه.

التّجسّس بالجيم: التّفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشّرّ، والجاسوس: صاحب سرّ الشّرّ.

وقد قال r : «**من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة**». رواه البخاري.

وعن أَبي هريرة t عن النَّبيّ r ، قَالَ: «**لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً في الدُّنْيَا إلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» رواه مسلم.

وروىٰ أبو يعلىٰ في مسنده بإسناد حسن عن أبي برزة قال: قال رسول الله r : «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته**».

وتأمل أيها الحبيب هذا الإرشاد والتّوجيه المحمّدي علىٰ صاحبه الصلاة والسلام وقِف عنده جيدا وأعطه حقّه من التدبّر، فقد ثبت في الصحيحين عن جابر t أن رسول الله r «**نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يلتمس عثراتهم**»، قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالىٰ معلّقا عليه: (هذا وهم أهل بيت

الرَّجل وخاصته فكيف بغيرهم؟.

وما شرع أدب الاستئذان، وما يتبعه من تحسيس أهل البيت بدخول الداخل إلا للبعد عن الوقوع على العثرات **فكيف بتتبّعها؟**) اهـ (تصنيف الناس بين الظن واليقين) وهذا هو الفقه حقا..

فحاسب أيها المسلم نفسك وما الذي تجنيه من تتبّع عورات أخيك وَنَقْل عيبه من مكان لآخر؟! نعم؛ تجني قسوة القلب، ووقوعك في الإثم! وسقوط قيمتك عند الناس.. ولماذا لا تفعل الذي هو خير؟ تتبّع:

جاء في كتاب (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي رحمه الله تعالى) أن من آداب العشرة تحسين العيوب، حيث قال:

(ومنها: **تحسين ما يعانيه من عيوب أصحابه**؛ فقد قال ابن مازن: (المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم)) اهـ. ومعنى ذلك إيجاد الأعذار والتغافل عن الأخطاء التي لا تضر، وليس تحسين الخطأ والسكوت عن المنكر وما إليه!.

وخُذْ هذه الحكمة، قال ابن الأعرابي: (تناسى مساوئ الإخوان يَدُمْ لك ودّهم).

أيها الأخ:

تَنَاسَى مِنْ إِخْوَانِكَ الْمَسَاوِيَا ... يَدُمْ لَكَ الْوِدَادُ مِنْهُمْ صَافِيَا

وَأَوْلِهِمْ مِنْ فِعْلِكَ الْجَمِيلا ... وَدَعْ مُثَابًا قِيلَهُمْ وَالْقِيلا

ويناديك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وينصحك فيقول:

لسانك لا تذكرُ بِهِ عورة امرئٍ ... فكلّك عوراتٌ وللنَّاس ألسنُ

وعيناك إنْ أَبْدَتْ إليكَ معايباً ... لغيرك قُلْ يا عين للنّاس أعينُ

وليشتغل كل واحد منا بعيب نفسه، فإن ذلك سيشغلك عن تتبع عيوب الناس، ومن (خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه لَأَتمّ الناس نقصاً وأعظمهم عيوباً، وأضعفهم تمييزاً، وأول ذلك أنه ضعيف العقل جاهل.

ولا عيب أشد من هذين؛ لأن العاقل **هو من ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها**، والأحمق **هو الذي يجهل عيوب نفسه إما لقلة علمه وتمييزه وضعف فكرته وإما لأنه يقدر أن عيوبه خصال وهذا أشد عيب في الأرض**) ما بين قوسين من: (الأخلاق والسير) وقد تقدّم.

فردد خلف أحد السلف حيث كان يقول: (اللهم عرّفني نفسي).

وَخُذْ فِي عِتَابِ نَفْسِكَ الأَمَّارَة فَإِنَّهَا غَـــدَّارَةٌ غَـــرَّارَةٌ

وأعلىٰ من ذلك وأكمل، وأنبل وأفضل، أن تتخذ أحد أحبابك أو أكثر، إخوانًا وخلانًا ليدلُّوك علىٰ عيوبك، قال سيد تابعي الشام بلال بن سعد لصاحبه عبد الرحمان بن يزيد رحمهما الله تعالىٰ:(بَلَغني أن المؤمن مرآة أخيه، فهل تستريب من أمري شيئا؟)من: الزهد لابن المبارك 485، فرحم الله أولئك الرجال علىٰ تلك الأخلاق الزّكيّة، والشّيم الرّضية.

* احذر البخل والعجز والكسل:

لقد كان عليه الصلاة و السلام يستعيذ بالله من العجز و الكسل فيقول: «**اللهمّ إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهمّ آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها، اللهمّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**» رواه مسلم.

والعجز: هو ضعف النفس عن شهود قدرتها علىٰ ما يراد، **والكسل**: هو ضعف البدن عن أداء ما وجب علىٰ العباد، (انظر تهذيب مشارع الأشواق (مدح القوة و الشجاعة و ذم العجز و الجبن))، فإنه ينزل بك علىٰ ثمار يانعة، وأزهار مؤنقة، وفي (الصحيحة): «**شرّ ما في رجل شحّ هالع وجبن خالع**».

يقول شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ وهو الإمام الهمام، الذي تنقاد إلىٰ يراعه دقائق المعاني صاغرة بزمام: (والله يلومُ علىٰ العجز، ويُحب الكَيِّسَ، ويأمر به، والكَيِّسُ: هو مباشرةُ الأسباب التىٰ ربطَ اللهُ بها مُسَّبباتِها النافعة للعبد في معاشه ومعاده، فهذه تفتح عمل الخير، وأما العجز، فإنه يفتح عملَ الشيطان، فإنه إذا عجز عما ينفعه، وصار إلىٰ الأمانىِ الباطلة بقوله: لو كان كذا وكذا، ولو فعلتُ كذا، يُفتح عليه عمل الشيطان، فإن بابَه العجزُ والكسل، ولهذا استعاذ النّبيُّ r منهما، وهما مفتاحُ كلِّ شرّ، ويصدر عنهما الهمُّ، والحَزَنُ، والجُبْنُ، والبُخْلُ، وَضَلَعُ الدَّيْنِ، وغَلَبَةُ الرّجال، **فمصدرها كلّها عن العجز والكسل**، وعنوانها "لو"، فلذلك قال النبي r : «**فإن "لو" تفتحُ عمل الشيطان**» فالمتمنِّي مِن أعجز الناس وأَفْلسهم، فإن التّمنِّي رأسُ أموال المفاليس، والعجز مفتاح كُلِّ شر.

وأصل المعاصي كلّها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تُبْعِدُه عن المعاصي، وتحول بينه وبينها، فيقعُ في المعاصي، فجمع هذا الحديثُ الشريف في استعاذته r أُصولَ الشر وفروعه، ومبادِيَه وغاياتِه، وموارِدَه ومصادرَه، وهو مشتمل علىٰ ثماني خصال، كُلُّ خصلتين منها قرينتان) اهـ من: (زاد المعاد في هدي خير العباد) ثم قال رحمه الله تعالىٰ: (والمقصودُ أنّ النبيّ r استعاذ من الهمِّ

والحَزَنِ، وهما قرينان، ومن العجز والكسل، وهما قرينان، فإنّ تخلُّفَ كمال العبد وصلاحِهِ عنه، إما أن يكون لِعدم قدرته عليه، فهو عَجْز، أو يكون قادراً عليه، لكن لا يُريدُ فهو كسل، **وينشأ عن هاتين الصفتين، فواتُ كُلِّ خير، وحصولُ كلِّ شر**) اهـ. (راجع تتمة شرحه هناك فقد لا تجده في غير ذلك الموضع).

وقد قيل في منثور الحِكَم: من دام كسله، خاب أمله، كما في: (أدب الدنيا والدين/الماوردي) .

فيا من يحمل همّ الجهاد، وهمّ أمته المكلومة التي تداعىٰ عليه الأمم كما تتداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها؛ فما لك وللنّوم، وما لك وللرّاحة، وما لك وللفراش الدافئ:

واحسرتاه تقضىٰ العمر وانصرمت ساعاته بين ذلّ العجز و الكسلِ

والقوم قد أخذوا درب النّجاة وقد ساروا إلىٰ المطلب الأعلىٰ علىٰ مهلِ

*** لا تتصرف في مال الله بغير حق فهو أمانة يشترك فيها غيرك من المسلمين:**

فعن خولة بنت عامر الأنصارية، وهي امرأة حمزة t وعنها، قالت: سمعت رسول الله r يقول: «**إن رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حقّ فلهم النار يوم القيامة**»، رواه البخاري.

قال بعض العلماء: (وفي هذا الحديث: تحذير مِنْ بَذْلِ المال في غير ما ينفع والتخوّض فيه ؛ لأنّ المال جعله الله قياماً للناس تقوم به مصالح دينهم ودنياهم، **فإذا بذله في غير مصلحة كان من المتخوِّضين في مال الله بغير حق**) اهـ.

فتأمل ـ يا من استرعاك الله شيئا من مال المجاهدين ـ في الوعيد الوارد في هذا الحديث؛ إنه والله يخلع القلوب، ويؤرِّق الأجفان، والسّعيد النّاجي هو من تَصَرَّف في مال الله بالحق، وعليه: يجب تشديد المراقبة، وتغليظ المعاقبة لكل مَن تهاون في هذا، فالله الله في أموال المسلمين، فقد أخذتها منهم علىٰ سبيل الحاجة والضرورة، فأحسن صرفها ولا تفرِّقها ههنا وههنا!..

قال تعالىٰ: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ (الكهف: 49).

وقال تعالىٰ: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ (البقرة: 281)..

ونذكِّر ونعيد: «إن رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حقّ فلهم النّار يوم القيامة» نسأل الله العافية والسلامة.

*** كل الطيبات من الرِّزق، واتق المأكل والملبس الحرام:**

عن أبي هريرة **t** قال قال رسول الله **r** : «**إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّباً، وإنَّ الله تعالى أمرَ الْمُؤْمِنينَ بما أمرَ به الْمُرسَلين ، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم﴾**، ثمَّ ذكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفرَ: أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يمُدُّ يدَيهِ إلى السَّماءِ: يا رَبِّ يا رب، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَمَلْبَسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالحَرَامِ، فأنَّى يُستَجَابُ لِذلكَ؟» رواه مسلم.

يقول الشيخ عطية ابن محمد سالم رحمه الله تعالى في شرحه: (ذكر عليه الصّلاة والسّلام أثر الأكل من الطّيبات في حياة الإنسان وعلاقته بربه، والأصل مبدأ «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً**»، سواءً في العبادات والمعاملات أو المطعم والمشرب، واستدلّ بالآيتين على عموم التكليف بأكل الطيبات من الرّزق وشكر النعمة، ثم كأنه قارن بين من يأكل الطيبات وبين من لا يتحرّى أكل الطيبات، وما هي النتيجة من عدم تحرِّي الحلال الطّيب؟ انظر إلى رجل أشعث أغبر، يطيل السفر، وهذه الحالة بالنسبة للعبد مع الله حالة استعطاف، وطلب رحمة، وافتقار إلى مساعدة، لا حالة انقطاع وإعراض وترك، فالإنسان إذا كان أشعث أغبر يطيل السفر، في حاجة إلى الرحمة والشفقة والعطف عليه من الله سبحانه وتعالى، وفي الحديث: «**ثلاث دعوات لا ترد**» وذكر «**المسافر**»، والمسافر موضع الرحمة، ويرخّص له في الصلاة أن يقصر، وفي الصيام أن يفطر، وإن كان له ورد حال إقامته ثم عجز عنه بسبب سفره؛ أمر الله الملائكة أن تكتب له في سفره ما كان يعمله وقت إقامته، وهذا إكرام له؛ لأنه في حالة ضعف مع طول السفر والجهد، وفي الحديث: «**السفر قطعة من العذاب**».

«**أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء**»، فيه مشروعية رفع اليدين في الدعاء، «**يا رب!، يا رب!**» يلح على ربه، ومع هذا لم يستجب له! لماذا؟ «**مطعمه حرام، ومشربه حرام، وغُذِيَ أو غُذِّي بالحرام**» غُذِّي أي: غذّاه غيره، أي: في حالة طفولته نشأ على الحرام بين أبويه، وغذِي: أي: هو غذى نفسه واقتات من الكسب الحرام، «**فأنى يستجاب له؟!**» بمقتضى هذا، فهذه قضية منطقية أن من غذي بالحرام ومدّ يديه وأَلَحَّ في الدّعاء لا يستجاب له، ويستبعد أن يستجاب له..

وقوله هنا: «**أنّى**» أنى للاستبعاد، أي: كيف يستجاب له؟ لأنه لم يأكل طيباً فيقبل على الله بقلب وبقول طيب، وإنما كما قال **r** : «**غذي بالحرام**»، وهذا يؤكّد قاعدة: (كل ما نشأ عن الحرام فهو حرام)، وكما يقولون: (الفرع يتبع الأصل) وكقولهم: (ما كان أصله باطل ففرعه باطل).

ومن هنا يقول بعض العلماء: اللقمة الحرام إذا قذفها العبد في جوفه لا يقبل الله له صلاة أربعين يوماً! وقال

أحمد رحمه الله: لو أن إنساناً اشترىٰ ثوباً بعشرة دراهم، وفيها درهم واحد حرام، لا يقبل الله صلاته في هذا الثوب، وكل هذا تنفير من الحرام، وفي الحديث الصحيح: «**كل جسم نبت من الحرام فالنار أولى به**»، وفي قوله **r** : «**غذِّي بالحرام**» مسئولية كبرىٰ علىٰ الآباء للأبناء، فليتق الله كل أب في أسرته، في أبنائه، فلا يطعمهم الحرام؛ لأنه إذا غذِّي بالحرام، كان هذا الجسم نابتاً بالحرام، فإذا كبر ودعا فقد لا يستجاب له، فيجب وقايتهم من ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ (التحريم:6)، فالإنسان مسئول عن أبنائه، وعليه أن يطعمهم بكدِّه وبتوكّله علىٰ الله، ومن رزق الله الحلال.

وقوله تعالىٰ: ﴿**طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ (البقرة:172)، يقف عندها العلماء، هل الطّيب هنا هو المعنىٰ الحسِّي أو المعنوي؟ هل الطيبات هنا مثل: الرطب الطيب، والعنب والموز واللّحم المشوي؟ هل هذا هو الطّيب أم غيره من الحلال ولو كان ملحاً وخلاًّ؟ حقيقة الطيب هو: الطيب في الشّرع قبل كل شيء، فلو كان من أشهىٰ ما خلق الله، عسلاً مصفاً، وزبداً لكنه مسروق فهل هو طيب؟ والله! ما هو بطيب؛ لأنه من الحرام، ومآله إلىٰ النار.

لكن لو أكل إنسان خلاً وملحاً وخبزاً حلالاً، وشرب الماء فهذا نِعّم الأكل، وهو طيب؛ لأنه يعين علىٰ طاعة الله.. وهكذا ـ أيها الأخوة ـ الإنسان إذا تعوّد الحلال، فقدّم له الحرام، فإنه يجد عنده حساسية منه، وتقلق نفسه، ولا يطمئن إليه قلبه، ويرتاب، وتعلمون قضية عمر لما أرسل غلامه ليأتيه بالحليب من إبله، فرجع فشرب فاستنكر عمر طعم الحليب، وقال: من أين جئتني بهذا الحليب؟! قال: والله! أرسلتني إلىٰ إبلك فوجد الراعي قد أبعد بها، وأدركت إبل الصدقة في الطريق فحلبوا لي منها، إذاً: عمر يستنكر طعم حليب إبل الصدقة، ولو تعمد هذا ما تركه يستقر في جوفه، والذي يهمنا أنه استنكر.

وكذلك الصِّدِّيق، جاء غلام له ـ أي: عبد له ـ بطعام، فأكل، فاستنكر الطعام فسأل: من أين جئتني بهذا الطعام؟ قال: تكهّنت في الجاهلية لرجل، وما أنا ـ والله ـ بكاهن، فلم آخذ منه شيئاً، فلقيني فأعطاني حلواني، فاشتريت لك به، وحلوان الكاهن لا يجوز، وكان هذا في الجاهلية، والإسلام يجبّ ما قبله، ولكنه أخذ شيئاً بغير مقابل، وهو محرّم، وما أدرىٰ الصِّدِّيق بحرمة هذا الطعام؟ إنها حساسية وشفافية، فيحسّ هل هذا الطعام طيب أم لا؟ لأن الجسم كله طيب، فلما أكل غير الطّيّب لم يتلاءم معه، وهذا مثل جهاز كهربائي لو وصلت إليه تياراً بقوة مائتين وعشرين (فلتاً)، وهو مصمم ومعد ليستقبل مائة وعشرة (فلت)، ماذا يصير فيه؟ يحرقه يحترق، ولو كان معداً لاستقبال تيار بقوة مائتين وعشرين، ووصلت إليه تياراً بقوة

مائة وعشرة (فلت)، فإنه لا يشتغل، فالجسم الذي نمى وترعرع على الطيب صار كله طيباً، ولا يقبل إلا ما كان من جنسه.

إذاً: يبين r أن أَكْلَ الطّيّب يعين على طاعة الله، وقليل من الحلال خير من كثير مع الحرام، فالحرام لا خير فيه، **وأكل الحرام يمنع إجابة الدعاء.**

إذا: **هذا الحديث في جملته يرسم لنا منهج الزهد والعفة والتعفف واتقاء الحرام واتقاء الشبهات**؛ ليرد ذلك مفعوله علينا في عبادتنا، وفي أولادنا؛ لأن من غذِّي بالحرام وهو صغير فعاقبته تكون سيئة، وأنت المسئول عنه. والله أسأل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه) اهـ ولفائدة كلامه سُقْته بتمامه.

ومن الأمور التي يجب التنبيه عليها والوقوف عندها في هذا المقام:

أن البعض منا ـ هداهم الله تعالى ـ يتوسع أو يتهاون في أخذ بعض متاع المسلمين من بعض المنازل المهجورة بحجج واهية، ولو صدق ذلك الآخذ مع نفسه ووضع نفسه مكان غيره؛ لعلم أن هواه قد سيّره وتسلط على تحركاته..

فلتقدّر الحاجة والضرورة لذلك بقدرها، وكن: **(غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ)**، يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى: (أي: غير طالب للمحرم، مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه، **(وَلا عَادٍ)** أي: متجاوز الحد في تناول ما أبيح له، اضطرارا، فمن اضطر وهو غير قادر على الحلال، وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها) (تفسير السعدي ج 1 ص: 81/الموسوعة الشاملة).

ولا يفوتنا التنبيه على أن كلمة (الضرورة) و(الحاجة) وما شابه ذلك صارت من الكلمات المبتذلة في أوساطنا، وصارت حجة وقشة نتعلق بها فلا تقدّر بقدرها، فهلا من عودة إلى المفاهيم الصحيحة وحقائق الأشياء؟! فَأَخْذ متاع المسلمين والتعدِّي على حقّهم منهي عنه شرعا، وباطل عقلا، ففاعل ذلك مدان، وأين المهرب وحق المسلم هو الطالب؟! فالتوبة التوبة..

*** لا تسأل الناس كثيرا:**

عَنْ عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: كُنتُ خَلفَ النَّبيِّ r فقال: «**يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كَلماتٍ: احفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احفَظِ الله تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سَأَلْت فاسألِ الله، وإذا استعَنْتَ فاستَعِنْ بالله، واعلم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كَتَبَهُ الله لكَ، وإنِ اجتمعوا على أنْ يَضرُّوكَ بشيءٍ، لم يضرُّوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبهُ الله عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ**» رواه الترمذيُّ، وقال: حسن صحيح

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: (قوله r : «**إِذَا سألت فاسأل الله**» أمر بإفراد الله تعالى بالسؤال

ونهي عن غيره من الخلق.. وفي النهي عن سؤال الخلق أحاديث كثيرة صحيحة..).

ثم قال: (وقَدْ بايع النَّبيَّ r جماعة من الصحابة على أن لا يسألوا النَّاس شيئا منهم الصِّدِّيق رضي الله عنه وأبو ذرّ وثوبان.

وكان أحدهم يسقط سوطه وخطام ناقته فلا يسأل أحدا أن يناوله إيّاه رضي الله عنهم، واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعيّن عقلا وشرعا.

وذلك من وجوه متعدِّدة منها أن السؤال فيه بَذْلٌ لماء الوجه وذلّ للسّائل، وذلك لا يصلح إلا لله وحده . فلا يصلح الذّلّ إلا لله بالعبادة والمسألة، وذلك من غاية المحبّة الصّادقة .

سئل يوسف بن الحسين: ما بال المحبِّين يتلذّذون بذلّهم في المحبّة فأنشد :

ذُلَّ الفَتَىٰ فِي الحُبِ مَكْرُمَةٌ وَخُضُوعُهُ لِحَبِيْبِهِ شَرَفُ

وهذا الذّلّ، وهذه المحبّة لا تصلح إلا لله وحده، وهذه حقيقة العبادة التي يختص بها الإله الحقّ.

كان الإمام أحمد رحمه الله يقول في دعائه: اللّهمّ كما صُنْت وجهي عن السجود لغيرك، فَصُنْه عن المسألة لغيرك..) اهـ (جامع العلوم والحكم).

فازهد فيما عند الناس ولا تجعل سؤالهم حِرْفة، ولا تطمع فيما في أيديهم، فـ:

لا يُفْسِدُ دِينَ الْوَرَىٰ إلا الطَّمَعْ حَقًّا وَلا يُصْلِحُهُ إلا الْوَرَعْ

ولا تسأل النّاس إلا عند الحاجة، واختر من تقصده، يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ:

ما حكَّ جلدكَ مثل ظفركَ فتوَلَّ أنْتَ جميعَ أمركْ

وإذا قصـــدْتَ لحاجَةٍ فاقْصِدْ لمعترفٍ بقدْرِكْ.

*** لا تقل ما لا تفعل** (وقد صار الكلام من دون عمل، كالتّحجيل في حلية هذا الجيل):

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: 2ـ3]

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها: (أي: لِمَ تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به؟.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال تعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾ (تفسير السعدي: 1 /858/الموسوعة الشاملة) (راجع سبب النزول).

أيها الأخ الفاضل: (الحازم من لم يرض لنفسه أخسّ المنازل، وأخسّ المنازل للرّجل منزلة القول بلا عمل، وأخسّ منها أن يكون الرّجل كالدّفتر يحكي ما قال الرّجال وما فعل الرّجال دون أن يضرب معهم في الأعمال الصالحة بنصيب، أو يرمي في معترك الآراء بالسّهم المصيب) (ما بين قوسين للبشير الإبراهيمي ـ رحمه الله تعالى ـ).

أخي الحبيب: حدّد موقعك، واسأل نفسك: أين العمل؟ وماذا قدّمت لديني؟..

*** إياك وكفران العشير:**

فإنه من خصال النساء وقد قال النبي r في حقّهن: «**يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**» (رواه البخاري)، فيا أيها الإخوة: تحابوا وتآخوا وتآزروا.. «**وكُونُوا عِبادَ الله إِخْواناً**» (مسلم)، ولا تنسوا الفضل بينكم..

فكفران العشير منهي عنه، وهو ليس من الرجولة والمروءة في شيء.

*** لا تكثر الكلام، ولا تفرط في المزاح، واحذر آفات اللسان:**

يقول الشيخ العلامة بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: (إن جارحة اللسان الناطق بالكلام المتواطأ عليه، أساس في الحياة والتعايش دينا ودنيا، فبكلمة التوحيد يدخل المرء في ملّة الإسلام، وبنقضها يخرج منها، وبين ذلك مراحل انتظمت أبواب الشريعة، فلو نظرت إلى (الكلام) وما بُني عليه من أحكام لوجدت من ذلك عجبا في: الطهارة، والصلوات، وسائر أركان الإسلام، والجهاد، والبيوع، والنكاح، والطلاق، والجنايات، والحدود، والقضاء.. بل أفردت أبواب في الفقهيات كلها لما تلفظ به هذه الأداة: (اللسان): في أبواب: القذف، والرّدّة، والأيمان، والنذور، والشهادات، والإقرار.

وفي أصل الأصول: (التوحيد) يدور عليه البحث والتأليف.

فكم من كلام أوجب ردّة فَقَتْلًا، أو أوجب قذفا فجلدا، أو أوجب كفارات أو نزعت بسببه حقوق فردّت مظالم إلى أهلها، أو إقرار أوجب بمفرده حكما، ولذا قالوا: (إقرار المرء على نفسه أقوى البينات).

وهكذا من مناهج الشريعة المباركة الغرّاء؛ **ولهذا تكاثرت نصوص الوحيين الشريفين في تعظيم شأن اللسان ترغيبا وترهيبا**، وأفرد العلماء في جمع غفير من مفرداته المؤلفات ففي الترغيب: الدعوة إلى الله على بصيرة، ونشر العلم بالدرس، وفضل الصدق، وكلمة الحق..

وفي الترهيب: عن الغيبة، والنميمة، والكذب، وآفات اللسان الأخرى.

وقد جمعتُ في ذلك (معجم المناهي اللفظية) وبسطتُ أصوله الشرعية في مقدمته .

وإذا علمت أن النبي r قال فيما صح عنه: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه: أضمن له الجنة**» علمت أن هذه (الضمانة)لا تعلّق إلا على أمر عظيم.

وهذه بمؤدّاها (رقابة شرعية) على حفظ أعراض المسلمين وكفّ الأذى عنهم في (العرض، والدين، والنسب، والمال، والبدن، والعقل).

ولما جمع الله شمل المسلمين أعلنها النبي r في حجة الوداع، فقال r في خطبته الجامعة على مسمع يزيد عن مائة ألف نفس من المسلمين: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت**» اهـ من كتابه القيّم: (تصنيف الناس بين الظن واليقين).

فآفات اللسان (هي شر الشرور، ويدرك هذا كل عاقل، قال رسول الله r : «هل يكبّ الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم» رواه الترمذي عن معاذ بن جبل t ، وقال حديث حسن صحيح.

ويدخل في هذه الآفات: السخرية ولها صور كثيرة، والاستهزاء، والتنابز بالألقاب والسباب، والغيبة والبهتان والكذب والنميمة واللعن والفحش وشهادة الزور وغيرها) ما بين قوسين من كتاب (العمدة)..

ويدخل في تلك الآفات التخذيل، وتثبيط المجاهدين وتوهين عزائمهم..

ويدخل فيها كثرة السؤال عما لا يعنيك، فهو تعب من غير أرب، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» (صحيح الترغيب والترهيب)..

ويدخل فيها الحيل التي يلوكها اللسان والروغان والتهرب من الحق والتكاليف ـ عياذا بالله تعالى ـ..

وقد ختمت الموضوع بِذِكْر آفات اللسان، لأن جلّ الآفات ومساوئ الأخلاق المذكورة أعلاه منبعها ومصدرها اللِّسان وكثرة اللغط في غير مصلحة؛ فتأمل!.

قال النبي r : «**من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**» رواه البخاري.

فجعل r الإعراض عن اللغو من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر، وقد كان الإعراض عن اللّغو دِين وديدن السلف الصالح..

وفي الحديث الذي تقدّم: «**من ضمن لي ما بين لَحَيَيْهِ وما بين فخذيه ضمنت له الجنة**».

جاء في (شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال): (وقوله : «**من ضمن لي ما بين لحييه**» يعنى لسانه فلم يتكلم بما يكتبه عليه صاحب الشمال «**وما بين رجليه**» يعنى فرجه فلم يستعمله فيما لا يحل له «**ضمنت له الجنة**»، ودل بهذا الحديث أن أعظم البلاء على العبد فى الدنيا اللسان والفرج، فمن وقى شرهما فقد وقى أعظم الشر، ألا ترى قوله

r : «**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» اهـ (ج 10 ص: 186/الموسوعة الشاملة).

فاحذر ـ أيها المجاهد ـ المهازل التي تقتل الجدّ والشهامة!، وتضيّع الوقت، وتحطّ من قيمتك!، وتخدش مروءتك!، ولا تكن ثرثارا تخطب في كل ناد، وفي (الصحيحة) قال r : «**من صمت نجا**»، وفي منثور الحكم: الصمت حكمة وقليل فاعله.

صَمْتٌ يُؤَدِيكَ إِلَى السَّلامَةْ   أَفْضَلُ مِنْ نُطْقٍ جَنَى النَّدَامَةْ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا «**إنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَمَعْنَى مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا لَا يَتَأَمَّلُهَا وَيَجْتَهِدُ فِيهَا وَفِيمَا تَقْتَضِيهِ.

وَفِي (رياض الصّالحِين): (لَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا أَخَيْرٌ أَمْ لَا ؟ وَفِي (شَرْحِ مُسْلِمٍ) فِي أَوَاخِرِ الْكِتَابِ مَعْنَاهُ لَا يَتَدَبَّرُهَا وَيُفَكِّرُ فِي قُبْحِهَا وَمَا يَخَافُ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَيْهَا).

وَلِأَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ: «**إنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ**» وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهْ: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**» فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ إنْ صَحَّتْ مَعْنَاهَا لَا يَتَأَمَّلُهَا وَيَجْتَهِدُ فِيهَا وَفِيمَا تَقْتَضِيهِ بَلْ قَالَهَا فِي بَادِئِ الرَّأْيِ، وَرَوَاهُ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ وَفِيهِ: «**مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ**»، وَفِيهِ: «**يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، وَفِيهِ: «**يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ.

وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ: اعْقِلْ لِسَانَك إلَّا عَنْ حَقٍّ تُوَضِّحُهُ، أَوْ بَاطِلٍ تَدْحَضُهُ، أَوْ حِكْمَةٍ تَنْشُرُهَا، أَوْ نِعْمَةٍ تَذْكُرُهَا.

وقال الماوردي في (أدب الدنيا والدين): (اعْلَمْ أَنَّ لِلْمِزَاحِ إزَاحَةً عَنْ الْحُقُوقِ، وَمَخْرَجًا إلَى الْقَطِيعَةِ وَالْعُقُوقِ، يَصِمُ الْمَازِحَ وَيُؤْذِي الْمُمَازَحَ.

فَوَصْمَةُ الْمَازِحِ أَنْ يُذْهِبَ عَنْهُ الْهَيْبَةَ وَالْبَهَاءَ، وَيُجْرِيَ عَلَيْهِ الْغَوْغَاءَ وَالسُّفَهَاءَ.

وَأَمَّا أَذِيَّةُ الْمُمَازِحِ فَلِأَنَّهُ مَعْقُوقٌ بِقَوْلٍ كَرِيهٍ وَفِعْلٍ مُمْضٍ إنْ أَمْسَكَ عَنْهُ أَحْزَنَ قَلْبَهُ، وَإِنْ قَابَلَ عَلَيْهِ جَانَبَ أَدَبَهُ.

فَحَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّقِيَهُ وَيُنَزِّهَ نَفْسَهُ عَنْ وَصْمَةِ مَسَاوِئِهِ) اهـ.

وَقِيلَ: إنَّمَا سُمِّيَ الْمِزَاحُ مِزَاحًا لِأَنَّهُ يُزِيحُ عَنْ الْحَقِّ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: الْمِزَاحُ مِنْ سُخْفٍ أَوْ بَطَرٍ.

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: الْمِزَاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ.

مَنْ أَكْثَرَ الْمِزَاحَ قَلَّتْ هِيبَتُهُ　　　وَمَنْ جَنَى الْوَقَارَ عَزَّتْ قِيمَتُهُ

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مَنْ قَلَّ عَقْلُهُ كَثُرَ هَزْلُهُ.

فاحفظ عقلك:

و زِن الكلام إذا نطــقت فـإنما　　　يبدي عقول ذي العقول المنطقُ

واحفظ لسانك واحترز من لَفْـظِهِ　　　فالمرءُ يسلم باللِّســان ويعطبُ

وزِن الكلام إذا نطقت ولا تكن　　　ثرثـــــارةً في كل ناد تخطبُ

ويبين لك شاعر آخر بعض أسباب الهلاك فيقول:

وما المرء إلا اثنان: عقل ومنطق　　　فمن فاته هذا وهذا فقد دَمَرْ

(دمر: أي هلك)، وعليه:

احذر لسانك أيها الإنسانُ　　　ليلدغنك إنه ثعبانُ

فكم من مرة ـ يرحمك الله ـ لدغك فما انتهيت: و**(لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)**..

لِسَانُ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ　　　وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فَكَّيْهِ مَقْتَلُ

إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذْرَهُ　　　فَذَاكَ لِسَانٌ بِالبَلاءِ مُوَكَّلُ

وَكَمْ فَاتِحٍ أَبْوَابَ شرٍّ لِنَفْسِهِ　　　إِذَا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ

كَذَا مَنْ رَمَى يَوْمًا شَرَارَاتِ لَفْظِهِ　　　تَلَقَّتْهُ نِيرَانُ الْجَوَابَاتِ تَشْعَلُ

وَمَنْ لَمْ يُقَيِّدْ لَفْظَهُ مُتَحَمِّلاً　　　سَيُطْلِقُ فِيهِ كُلَّ مَا لَيْسَ يَحْمُلُ

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي فِيهِ مَاءُ صِيَانَةٍ　　　فَمِنْ وَجْهِهِ غُصْنُ الْمَهَابَةِ يَذْبُلُ

ـ وللعلم ومن باب الفائدة؛ فقد كان النبي **r** يداعب أصحابه ولا يقول إلا حقا كما رواه الترمذي عن أبي هريرة **t**.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: (أخرج الترمذي وحَسَّنه عن أبي هريرة قال (قال قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال«**إني لا أقول إلا حقا**»، وأخرج من حديث ابن عباس مرفوعا: «**لا تمار أخاك ولا تمازحه**» الحديث، والجمع بينهما: أن النهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين، ويئول

كثيرا إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار، والذي يَسْلَم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب، قال الغزالي: من الغلط أن يتّخذ المزاح حرفة ويتمسك بأنه r مزح) اهـ (فتح الباري ج 10 / ص 526ـ527 /الموسوعة الشاملة).

وفي ختام هذه النقطة قل للمهذار: (إن اللغو شين كله) جنّبنا الله سبحانه الزلـل.

*** تنبيه ولفتة مهمة:**

قد يتبادر إلى ذهن أحدنا أن المعاصي التي تؤثر على سير المعركة وتؤاخذ بها الجماعة هي المعاصي التي يُجْهر بها فحسب، ولا دَخْل لغيرها في ذلك، ولأجل هذا نسوق هذه الفائدة:

جاء في كتاب (العمدة) حول موضوع ثمار التقوىٰ في الدنيا والآخرة ما يلي:

(ج ـ تأليف القلوب: وهو من ثمار التقوىٰ، قال تعالىٰ: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾** [آل عمران: 103]، وتفصيل ذلك أن الله تعالىٰ يُلْقِي محبة أهل طاعته في قلوب الخلق، فإذا كانت التقوىٰ هي سمة الطائفة المجاهدة في السر والعلن، فلابد من أن تثمر محبة متبادلة وتأليفا للقلوب داخل هذه الطائفة، وهذا من أعظم أسباب تماسك الصف المؤمن ومن أعظم أسباب قوة الجماعة المؤمنة، فعن أبي هريرة t أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ**» متفق عليه، وزاد مسلم في رواية: «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**» اهـ، ومصداق هذا في كتاب الله، قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا﴾[مريم،: 96]، {وُدًّا} أي مودة ومحبة.

وعلىٰ النقيض من ذلك ـ وهنا محل الشاهد ـ **فإن أي معصية يفعلها الفرد هي معول يفت في عضد الجماعة، بما يترتب على هذه المعصية من البغضاء التي يلقيها الله في قلوب الخلق للعاصي، كما في حديث أبي هريرة السابق**، وكما في قوله تعالىٰ: **﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾**[المائدة،: 14) اهـ.

أخي المجاهد:

تلك بعض مساوئ الأخلاق، ذكرناها علىٰ سبيل المثال لا الحصر، فاجتنب تلك الأخلاق الردية التي ذكرتها وأخواتها التي تركتها، ولننفر ـ أيها الإخوة ـ جميعا ولنشنّها غارة شعواء علىٰ تلك الآفات المبيدة والجوائح المتلفة التي تقطّع الأوصال، وتشتّت الصّفّ وتجعله شذر مذر، والضرر يجب أن يزال، فلا نجعل بيننا وبين الأخلاق الفاضلة ردما، ورحم الله امْرَءِ ملك هواه، وأمَّ مسالك هداه..

خامسا؛ وبعد الذي تقدم ما الذي يجب فعله فلعلنا نجد (ريح يوسف)؟:

أخي في الله ـ وفّقني الله وإياك ـ لجّ في الاستعبار، وألظَّ بالاستغفار، و:

عُدْ إلى الرحمان في طُهْر تجد   مركب النصر إلى العليا معكْ

فما رفع بلاء إلا بتوبة كما قال علي ابن أبي طالب t ، وإلا فإنها سنن الله الغلابة، فالنجاة النجاة، قال رب الأرض والسماوات: ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (وعند هذا الموقف الذي تظهر فيه حتمية سنن الله العامة، وانتهاؤها إلى نهايتها المرسومة، متى تعرّض الإنسان لها باختياره، تفتح نافذة مضيئة بآخر شعاع من أشعة الأمل في النجاة، ذلك أن يعود المكذّبون عن تكذيبهم قبيل وقوع العذاب: ﴿**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى حين**﴾ اهـ.

يقول الشيخ أبو الحسن الرشيد البليدي حفظه الله: (الآية تحيي في النفس الكليلة الأمل والطمع في رحمة الرحمن الرحيم.. فالذي أنجى قوم يونس حيّ لا يموت، ورحمته وسعت كل شيء.. علم صِدْق توبتهم فنجّاهم.. فليتنا نحسن التوبة فيحسن الله إلينا بإصلاح الحال.. وكما جاء في الأثر القدسي: «أنا عند حسن ظن عبدي بي..») اهـ.

أخي المجاهد:

ـ أولا وقبل كل شيء ـ احذر أثناء العزيمة على التصحيح والتوبة؛ عسى، وسوف، ولعلّ، وأخواتها من المثبِّطات.. ثم اعمد إلى ميراث النبوة ونقِّب وفتِّش ـ وفّقك الله ـ عن أخلاق نبيك الكريم عليه الصلاة والسلام والزم غرزه لتفلح وتسعد وتفوز.. ولا سبيل لك إلى ذلك إلا بطلب العلم، فـ(العلم وسيلة، إلى كل فضيلة) كما قال ربيعة ـ رحمه الله تعالى ـ فذاك هو المعتصم الأقوى والمتعلّق الأوفى، والأمّة إن لم تتعلم ستتخلف في جميع الميادين، (وسيغتالها الجوع العقلي لأنها لم تعلم)..

واعلم أن الفضائل لا تصاد بالسِّهام، ولا تقسّم بالأزلام وتوزّع بالأقلام، وإنما بالجدّ والكدّ، والاجتهاد في الطاعة وطلب المعونة من الله تعالى، وهي أيضا ليست بعيدة المنال ـ بإذن الله تعالى ـ ولكنها ـ كما مرّ ـ تتوقف على جد واجتهاد وصبر ويقين، فليكن اسمك في صباح كل يوم: (حارث) وفي مسائه: (همّام)، والفضائل ينالها الجاهدون، ويحرمها الرّاقدون.. والسعيد من وفقه الله تعالى..

المجد تطلبه نفسي فَتبلغهُ   ولست أرضى سوى التّحليق في القممِ

ولتكون على حذر؛ فاعلم أن النفس ـ الأمارة بالسوء ـ التي تلتحق بالمجاهدين ولا تزال تحمل أوزارًا من بقايا ماضيها من الجاهلية، أو شيئا من آثار التربية المضطربة؛ إن لم تصبر على الاستقامة ومعالجة هوى النفس وترويضها والرُقيِّ بها في درجات العبودية، فسرعان ما تعود إلى طَبْعها وما أَلِفَتْه من قبل! فَأَعْطِ هذه النصيحة حقها من

التأمّل والتدبّر، وانتبه انتبه، قال تعالىٰ: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن ْ دَسَّاهَا**﴾سورة الشمس، الآية: 7ـ10، راجع فائدة في تهذيب النفس من كتاب: (العمدة في إعداد العدة/عبد القادر بن عبد العزيز) فهي نفيسة.

نفوسنا يا قوم لا سواها   هي التي أعيا الأُساة داها

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالىٰ: (فاحرصوا، رحمكم الله، علىٰ أن تكون لحياتكم قيمة، واربأوا عن أن تكون في كفة النحس والهضيمة، واسعوا في الوصول بها إلىٰ القيم الغالية، والحصول منها علىٰ الحصص العالية) اهـ، فإن قصرت ولا إخالك، فلا تلومن إلا نفسك وقد ساء حالك!، قال تعالىٰ: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ (الزلزلة:1)، ولا ينفع أهل القبور سوىٰ العمل المبْرور.. فالتوبة التوبة، والإنابة الإنابة، والأوبة الأوبة، قال تعالىٰ: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ [طه: 82]

أَعْدِدْ لِجَيْشِ السَّيِّئَاتِ تَوْبَةْ   فَـإِنَّهَا تَهْزِمُ كُلَّ حَوْبَةْ

وَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلَنَّهْ   وَلا تَحِدْ طَرْفَةَ عَيْنٍ عَنَّهْ

ويقول الإبراهيمي رحمه الله تعالىٰ: (وإن تغافل الإنسان عن عيبه لمن دواعي الغرور، **والغرور من دواعي التمادي في الغي، والتمادي في الغي من موجبات الهلاك)** اهـ

أخي في الله: عالج نفسك ولا تثنيك الصعاب، وسيأتيك المدد من رب رحيم، واعلم أن: (في قوة قهر الهوىٰ لذّة تزيد علىٰ كل لذّة) كما يقول ابن الجوزي (صيد الخاطر)، فلا تحرم نفسك من لذّة قهر الهوىٰ، وسيأتيك الإمداد ـ بإذن الله تعالىٰ ـ قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت : 69]

وخذها نصيحة وفائدة من كتاب (الأمة الإسلامية من التبعية إلىٰ الريادة/ محمد محمد بدري) يقول صاحبه:

(يخضع إحياء أمة من الأمم أو حماية مجتمع مّا لسنن ربانية جارية تنطبق علىٰ الأمة الإسلامية كما تنطبق علىٰ غيرها من الأمم، وكل من يريد بناء مجتمع وإحياء أمة إذا لم يَسِرْ وِفْق هذه السنن ولم يفقه عوامل الهدم والبناء فلن يتمكن من إحياء هذه الأمة أو بناء ذلك المجتمع، **وسيخر صريع السنن الربانية الجارية التي لا تحابي أحداً!**

ومن سنن الله أن البشر يتحملون مسؤوليتهم في الرّقيّ والانحطاط... فالتغيير يبدأ من النفس سواء بالارتقاء والارتفاع إلىٰ أعلىٰ أو بالانتكاس والهبوط إلىٰ أسفل.

وقد طرح القرآن الحد الإيجابيّ لهذا التغيير بقول الله عز وجل: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ وطرح حدّه السلبي بقوله سبحانه: ﴿**ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾.

إن بداية الخروج مما نحن فيه، هو أن نخرج من نطاق التعميمات والشعارات **والاقتصار على التوجه صوب الآخر، والإلقاء بالتبعة عليه،** لنضع أيدينا علىٰ الأسباب الحقيقية التي هيأت الأمة للإصابة، فإذا فعلنا ذلك كانت هذه

هي الخطوة الأولى والحاسمة التي توقفنا على الأرض التي تسمح برؤية الأشياء على حقيقتها، ومواجهة مشاكل الواقع من خلال سُنة الله الربانية في تغيير النفس والمجتمع، والتي تقرر أن التغيير إلى الأفضل أو الأسوأ لا يحدث إلا إذا سبقه تغيير جماعي يقوم به القوم لما بالأنفس من أفكار ومفاهيم واتجاهات فيغيّر الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم... وتنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم.

إن التغيير ليس هدية تُعْطى!!، ولا غنيمة تُغْتصب!!، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بتغيير ما بالأنفس، فهما متلازمان... ولا يتغيّر واقع الأمة إلا إذا تغيّر ما بأنفس أفرادها...

تغييراً يمتد إلى كافة المساحات وسائر المكونات النفسية الأساسية: العقلية والروحية والجسدية، وكل العلاقات والبنى الداخلية مع الذات ومع الآخرين، والتي تمكن الجماعة المسلمة من مواجهة حركة التاريخ، فإذا أردنا تغيير واقعنا الذي نشكو منه، وإذا أردنا إحياء الأمة الإسلامية فإن السبيل إلى ذلك **هو تصفية أفكارنا وإطارنا الخلقي مما فيه من عوامل قتّالة، ورمم لا فائدة منها حتى يصفو جو الأمة للعوامل الحيّة والداعية للحياة، والتي بها يتم إحياء الأمة.**

إن تغيير ما بأنفس الأفراد هو الشرط الجوهري لكل تغيير للمجتمع والأمة، ولن يكون هناك سحر يمحو ضعف أمتنا وتخلفها في لحظات ويبدلها تقدماً وقوة.. إنما هناك سنن ربانية تقوم عليها حياة الناس في الأرض... وليس من السنن الربانية أن نفسد ديننا ثم نقول: يا رب.. يا رب.) اهـ.

فإن استمسكنا ـ أيها الإخوة ـ بالأخلاق، وأخذنا بسنن النهوض، وتوكلنا على الله تعالى **فإن اليوم الذي نلمس فيه النتيجة باليد ليس ببعيد!** وما ذلك على الله العزيز بعزيز..

* * *

أخيرا؛ الخاتمة ـ نسأل الله تعالى حسنها ـ:

أيها الأخ المجاهد؛ نختم هذه الرسالة بفائدتين، وهي:

الفائدة الأولى:

جاء في كتاب (العمدة) ما يلي: (ومحاسن الأخلاق ترجع ـ فيما أرى ـ إلى أصلين:

الأول: الحياء: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**» متفق عليه عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وفي رواية لمسلم «**الحياء خير كله**»، ومعلوم أن الحياء شعبة من شعب الإيمان كما في حديث شعب الإيمان المتفق عليه عن أبي هريرة مرفوعا: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**» (لفظ البخاري)، وقد نص عليه دون غيره من الشُّعب في هذا الحديث، **لأنه كالباعث على أداء بقية الشعب**، فمن استحى من الله تعالى أتى بحقوقه سبحانه بترك المنهيات وفعل المأمورات، ومن استحى من الناس أتى بحقوقهم بكفِّ الأذى وجلب النفع.

(**والحياء نوعان**: أحدهما ما كان خلقا وجِبِلَّة غير مكتسب، وهو من أَجَلِّ الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويَجْبُله عليها، **والثاني**: ما كان مكتسبا من معرفة الله، ومعرفة عظمته وقربه من عباده واطِّلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور) (جامع العلوم والحكم ص 175)، قلت: فمن قلّ حظّه من النوع الأول فعليه بمجاهدة نفسه لاكتساب الثاني.

الثاني: أن يحبّ للناس ما يحبه لنفسه وأن يكره لهم ما يكرهه لنفسه، وإذا قلنا إن الحياء يدفع صاحبه إلى أداء حقوق الناس، فنقول هل هناك قاعدة عامة تبين ما هي حقوق الناس، يتبعها من لا يستطيع الإحاطة بتفاصيل الأحكام والآداب الإسلامية؟ والجواب: نعم توجد قاعدة عامة لهذا وهي: (أن تحبّ للناس ما تحبّ لنفسك من الخير، وأن تكره لهم ما تكرهه لنفسك من الشرّ).

وهذه القاعدة مستفادة من حديث النبي r : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (متفق عليه عن أنس)، وفي مستخرج الإسماعيلي: «**حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير**»، قلت: ومفهومه وحتى يكره لأخيه ما يكرهه لنفسه.

قال ابن رجب: (وحديث أنس الذي نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسرّه ما يسرّ أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، **وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد**) (جامع العلوم والحكم ص 104).

وفي معنى حديث أنس ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله r قال: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليَأْتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**».

وكيفية تطبيق هذه القاعدة يكون بمعرفة أن الأمور الثلاثة: شر لاشك فيه، وخير لاشك فيه، وشيء متردد بينهما، فالشرّ مطلوب الكفّ عنه وهو ما أشرنا إليه بكفّ الأذى، والخير المطلوب فعله وهو ما أشرنا إليه بإيصال النّفع إلى الناس قدر الاستطاعة، وأما الأمر الثالث المتردّد فيه فعليك بأن تفكّر قبل الإقدام هل ترضاه لنفسك أم لا؟ فإن رضيته لنفسك ولم يخالف حكماً شرعياً فأقدم وإلا فلا.

وكما ترى فهذه القاعدة (وهي أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك) متضمِّنة لشقّي المعاملة الذين أشرت إليهما آنفا هما كفّ الأذى وجلب النفع، فما من أحد إلا وهو يحبّ أن يكفّ الناس أذاهم عنه وأن ينفعوه، والإيمان يقتضي أن يحب هذا للناس كما يحبه لنفسه وإن لم يعامله الناس هكذا) اهـ

تطبيق عملي:

فمثلا لو تقول لإنسان هل تحب أن يؤذيك شخص أو يعتدي عليك؟، فلعله يجيب من غير رويّة، ولا عَقْد نيّة: لا ورب البريّة! فما رأيك لو يكون هو يؤذي ويعتدي على إخوانه، ثم لا يحب ذلك لنفسه؟ أقول: أفرأيت أشنع

وأبشع من هذه العقلية، وما هذه الأنانية؟!.

الفائدة الثانية:

يقول الشيخ المجاهد أبو مصعب السوري ـ نفع الله بعلمه ـ عند نهاية (باب نظرية التربية المتكاملة من كتابه المقاومة) تتبع يرحمك الله فالشيخ (إن سلّ صارمه سالت مضاربه)، قال:

(إن الجهاد اليوم فريضة متعيّنة على كل مسلم، نعم وبهذا نقول وإليه ندعوا، ولكن مهمتنا كدعاة للجهاد والمقاومة لا تنتهي هنا، بل من هنا تبدأ، ويجب أن نربّي من لبّى داعي الجهاد، ونوفّر لهم سبل التربية المتكاملة.

ولقد رأيت من خلال ما منّ الله به علي من مواكبة التجارب الجهادية، وصحبة الكثيرين من المجاهدين في أكثر من قضية وساحة.. رأيت البون واسعا، والفرق شاسعا، بين مجاهد قد أخذ حظا من التربية وآخر قد فاته هذا الخير، ورأيت الفارق هائلا بين مجاهد قد فقه عقيدته القتالية، فعلم من هو وماذا يريد، وآخر قد جاءت به العاطفة والحماس، **ورأيت الاختلاف بيّنا بين مجاهد قد أخذ حظا من التربية السلوكية والأخلاق، وأنعم الله عليه بحظ من العبادة والنسك وبين آخرين حرموا من ذلك**، وقُلّ مثل ذلك عن الفارق بين مجاهد يفهم ما يجري من حوله من أحداث، وآخر لا يعرف كيف الدنيا تدور، كما ظهر في القتال والميدان الفارق الواسع بين مجاهد قد أعدّ وصبر على الإعداد والرباط في دورات التدريب، وآخرين قفزوا على ذلك إلى الميدان شوقا إلى القتال فلما حضروا المعركة كانوا أقل فعلا وأثرا.

لقد تبدت تلك الفوارق ولا سيما السلوكية والأخلاقية عندما عصفت بنا الخطوب والمحن، ودخلنا مرحلة الفاقة والمطاردات.. وظهرت معادن الرجال على حقيقتها، فظهر الصدق والثبات، والشجاعة و الكرم، والإيثار والتفاني والتضحية، وأخلاق الأخوة، ومزايا الصادقين المخلصين المؤهلين ممّن أنعم الله عليهم.

وظهرت أضداد ذلك من تفاهات النفوس واستزلال الشيطان حتى بين بعض المجاهدين، بل وبعض قدمائهم ـ ونسأل الله العافية والستر في الدنيا والآخرة ـ والحقيقة فإن كل نقص في مجال التربية يجبر بعون الآخرين من الصحب المجاهدين، إلا ضعف العقيدة ونقص النّسك، وسوء الخلق ونقص المروءة.

فإن ضعف العقيدة يورث الخور، وربما الردة على الأعقاب، وكذلك فإن نقص النسك والعبادة يورث القسوة والجفوة، وإن رداءة الأخلاق وسوء التربية لا تنجبر وتنعكس على صاحبها عنتا، وعلى من ابتلي بصحبته بلاء..

فالنسك وكثرة النوافل والعبادة تورث معية الله وحبه، وتنعكس على صاحبها طراوة ونورا، وأما حسن الخلق فقد ذهب بخير الدنيا والآخرة، ويكفي هذا صاحبه إلى أن يبلغه أعلى منازل الجنة برحمة الله، ونسأل الله من فضله العظيم.

..وقبل أن انتقل إلى الفقرة التالية وهي لبّ الباب (العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة)، أشير إلى ملاحظة

طالما كررتها في بعض دروسي ومحاضراتي و محاوراتي في أوساط المجاهدين..

ملاحظة طالما أتعبني أن تستولي على واقع التيار الجهادي وما آلت إليه، وهي التي دعتني أن أقدّم للعقيدة الجهادية القتالية بالأسس الشاملة العامة لعقيدة الإسلام.. **وهذه الملاحظة هي:**

لقد لاحظت من طول احتكاكي بالمجاهدين وصحبتي وعضويتي في التيار الجهادي، أنه غلب على المتأخرين منهم، ولاسيما في تجارب الحشد الركامي، كما حصل في ساحات الجهاد المفتوحة كأفغانستان وغيرها، حيث لم تُعِرّ قياداتها وللأسف أهمية للتربية العقدية الشاملة ولا الجهادية كما أشرت..

لقد سيطر على أكثر المجاهدين الشباب شعور بأن القتال هو الجهاد، وأن الجهاد هو الإسلام!!، وأورثهم الإحساس بأنهم يمارسون شعيرة ذروة سنام الإسلام، بأنهم في غنى عن باقي ذلك الجسد الكامل المتكامل، لقد ضعفت لدى الكثيرين من المجاهدين أسس العقيدة بتمامها وشمولها التي أشرت إشارة عامة لمناجيها في هذه الفقرة.

وكثيراً ما ضربت المثال لإخواني و أعيده هنا..

لقد أسيء فهم قول رسول الله r بأن: «**الجهاد ذروة سنام الإسلام**» من قبل كثير من المجاهدين، ويجب أن نعود لتمام الحديث الذي وردت فيه هذه الجملة الشريفة منه r .

عن معاذ t قال : (قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: «**لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**» ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا:﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع.. ﴾حتى بلغ ﴿يعملون﴾** (السجدة) ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر و عموده وذروة سنامه**» قلت بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**» ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله**»، قلت بلى يا رسول الله «**فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا**» قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال: «**ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. والحديث أوضح من أن يفسّر.

فأصل الأمر الإسلام ـ كل الإسلام ـ بأركان الإسلام وأركان الإيمان، وعموده (الصلاة) بتمام إقامتها وآفاقها.. ثم الصدقة، ثم النوافل وقيام الليل، ثم ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله. قمة الجمل فوق جسده وعموده وما يحمله، ثم جماع ذلك :(حفظ اللسان)، وهذا رمز لحسن الخلق، لأن (اللسان) باب إلى الخير أو إلى الشر.

قلت وأعيد الذكرى هنا: ذروة سنام، فشبه الجسد بالجمل، فهل يستطيع الراحل على الراحلة السفر على مجرد

سنام حتى ولو ارتقى ذروته؟! ؟! وكيف يرتحل على قطعة شحم، إذا لم يكن السنام مستوياً على جسد متكامل، قائمًا على أعمدة راسخة ؟!.

الأمر بين.. **وهنا أصل إلى الخلاصة:**

لا جهاد كما أمر الله تعالى بلا عقيدة جهادية قتالية.. ولا عقيدة جهادية قتالية صحيحة سليمة، ما لم تبنَ على أسس العقيدة الإسلامية الشاملة الكاملة بطريقة تربوية شاملة كاملة صحيحة.

وهذا ما غاب عن كثير من المكونات التنظيمية للتيار الجهادي، ولاسيما في أشواطه الأخيرة..

..وإن وجود مقاومة وممارسات جهادية، أو بالأحرى ثقافة قتالية عسكرية، وعواطف وردود أفعال نتيجة الكرامة والشرف والنخوة والحماس لدى شباب الأمة..

إن وجود ثقافة ومبادئ قتالية جهادية، لم تبن على أسس صحيحة من شمول العقيدة والدين وتمامه، في ظلّ ظروف القهر والاحتلال؛ لينذر بكارثة أشد من كوارث القعود عن الجهاد أحيانا..

إن وجود السلاح في أيدي مقاتلين يضربون العدو، ويرتكبون في مسارهم أفظع المصائب، نتيجة الجهل بالعقيدة وغياب التربية المتكاملة، من الممكن أن يعود بالضرر على الأمة والجهاد والمقاومة وكل ما نصبو إليه.

وقد تسير الأمور إلى الهرج والفتن، واختلاط الحابل والنابل، وقد يسبب حصول الخيانات والتراجعات، والضرب غير الواعي على غير بيان، و قد أمر الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا..**﴾.

إن الظروف صعبة، والعدو يقظ والصف الإسلامي منخور، وعملاء العدو في كل قطاع، من حكام و علماء ومثقفين وأصحاب الأغراض كثر.. أكثر من أن يشار إليهم، وإذا دبَّت الفوضى فستقوم الثارات، وتقع ردود الأفعال، ويتعصب الناس ويجرون وراء كل ناعق، ولن تستقيم مع ذلك مقاومة ولا جهاد.

فلا قتال بلا عقيدة جهادية صحيحة، بنيت على أسس متينة من عقيدة إسلامية شاملة، تثبت اليقين وتضبط الأحكام، وتحفظ الأخلاق، أخلاق القتال وأحكام وآداب وشرائعه مع العدو والصديق، إنه دين كامل.. فإما جهاد على أسس دين، وإما قتال هرج وملاحم فتن أعاذنا الله منها.

وهنا تأتي مسؤولية العلماء، وقادة الصحوة الإسلامية، بالنزول لساحة قيادة الجهاد والمقاومة، وكل امرئ حسيب نفسه.. اللهم قد بلغنا فاشهد.. اللهم أعنّا على البلاغ والدعوة على بصيرة، والعمل على بصيرة، والجهاد على بصيرة، والشهادة في سبيلك على بصيرة) اهـ من: (المقاومة الإسلامية العالمية) وفي ما مضى إرشاد للأريب بلا ريب، فأعد قراءتها ـ غير مأمور ـ مرة أخرى وتأمل فجرها الصادق، ومزنها الوادق.

وفّقنا الله الكريم لركوب سفينة النجاة والتحلِّي بالأخلاق الفاضلة، والآداب الجليلة، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت..

ومسك الختام:

أيها المجاهد؛ نريد ـ كما تريد ـ رجلا ملتزما، حسن السلوك، مهذّب الأخلاق، فإذا كثر أولئك في الصّفّ المجاهد، جاءت البشائر، وتنزّل النصر، وحصلت العجائب بإذن الله تعالى، ولا يخزيك بعد ذلك الله أبدا، فحيّ الله الأخلاق وأحيا الله الأخلاق.. ونختم بما بدأنا به: أيها المجاهد راقب أخلاقك، أشد مما تراقب سلاحك:

(الاخلاق) رأس المال فاستمسك (بها)　　(فضياعها) من أعظم الخسرانِ!

أخي في الله:

هَذَا الَّذِي جَادَتْ بِهِ الْقَرِيحَة　　فَاحْذُ عَلَيْهِ وَاقْبَل النَّصِيحَةْ

وَإِنْ رَأَتْ عَيْنَاكَ عَيْبًا صُنْهُ　　فَتَفَضُـــلاً مِنْكَ وَصُدَّ عَنْهُ

وما مضىٰ هو جهد المقلّ، وقدرة المفلس، حذَّر من الداء وإن كان من أهله، ووصف الدواء وإن لم يصبر علىٰ تناوله لظلمه وجهله، وهو يرجو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، أن يغفر له غيّه لنفسه بنصيحته لعباده المؤمنين، ومن بصّر فما قصّر، ومن أدّىٰ غنم، ومن قصّر غرم (جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، وكشف عن قلوبنا ـ لإدراك فواتنا ـ حجاب الغفلة والسِّنة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)، **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

جمعها أخوكم: أبو الأشبال المغربي ـ عفا الله عنه ـ.

1435هجرية/2013 ميلادية.